

كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

المسلمون في لاوس وكمبوديا

رحلة ومشاهدات ميدانية

بقلم
محمد بن ناصر العبودي

ذو القعدة ١٤١٦هـ - العدد ١٦٧ السنة الرابعة عشرة



بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد،

فإنني قد قلت في مقدمة كتابي الذي كتبته عن زيارة فيتنام بعنوان: «أيام في فيتنام»، إنني كنت قد عزمت على أن اسمي الكتاب الذي سأكتبه عن زيارتي للهند الصينية (مشاهدات في الهند الصينية) التي أريد بها الأقطار الثلاثة فيتنام ولاوس وكمبوديا غير انني وجدت الكتاب قد زاد حجمه عما كنت قررته له فرأيت تقسيمه إلى كتابين أحدهما عن فيتنام والآخر عن لاوس وكمبوديا بعنوان (المسلمون في لاوس وكمبوديا).

إن هذه الأقطار الثلاثة تسمى مجتمعة بالهند الصينية مع أنه ليس لأهلها أي شبه مظهري بالهند وإنما شبههم بالصين ظاهر وإن كان ذلك على هيئة بعيدة فالفروق حتى بين أهل الصين أنفسهم كبيرة. ولكن أهل الهند الصينية فيهم شبه كبير من أهل جنوب الصين كأهل كانتون التي زارها الرحالة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري وسماها (صين كلان) يعني الصين الكبير أو (صين الصين) وكأهل منطقة يونان وقد زرت المنطقتين كلتيهما وذكرت مشاهداتي فيهما في كتابي: (في جنوب الصين) وفي كتابي (العودة إلى الصين).

وهناك منطقة أخرى مجاورة هي بورما كانت تعد من الهند الصينية أيضاً وأهلها الأصلا، الذين هم أكثر السكان فيها هم كأهل

الهند الصينية الآخرين الذين يشبهون الصينيين ولايشبهون أهل الهند إلا ماكان من أمر جزء منها في غربيها وبخاصة في منطقة أركان فإن أهلها يشبهون أهل الهند وعلى ذلك لاتكون تسمية هذه الأقطار بالهند الصينية صحيحة من حيث المظهر الخارجي، وانما هي صحيحة في قول بعضهم من ناحية ثقافتهم فهم يشبهون أهل الهند القدماء من حيث إن ديانتهم البوذية جاءتهم من الهند وكانت غالبة في الهند في القديم قبل أن تنكمش وتتضاءل هناك- وبذلك يصح القول في هؤلاء القوم الذين تتجه رحلتنا إليهم انهم يشبهون أهل الصين في المظهر ويشبهون بعض أهل الهند في الثقافة.

أما أنا فإنني أرى فيهم شيئاً غير ذلك أرى أنهم أمة يمكن أن يصح القول فيهم بأنهم جاؤا في الأصل من جنوب الصين فتفرقوا في هذه المنطقة الندية بأمطارها وأنهارها الغنية بنباتها وأشجارها فاكتسبوا على مدى الدهر صفات خاصة بكل قطر أو مجموعة من كل قطر فيهم ومن ذلك لغاتهم التي تعددت حتى صارت الآن متباعدة متباينة فلغة فيتنام مثلاً لا علاقة لها تذكر بلغات أهل لاوس وكمبوديا فلغة لاوس قريبة جداً من التايلندية، بل يكادون يتفاهمون مع التايلنديين في اللغة وهي تشبهها كثيراً وتماثلها في كثير من ألفاظها وجملها، وإن كانت تختلف عنها قليلاً في الكتابة وفي النطق، وأما لغة كمبوديا فإنها ذات كتابة مستقلة يحسب من يراها لأول مرة وهو لا يعرفها أنها قريبة في الكتابة من التايلندية وماهي منها بقريبة، وأما لغة التخاطب فإنها متباعدة بين التايلندية والكمبودية حتى لايمكن لأحد الفريقين ان يتفاهم مع الآخر إلا إذا كان قد تعلم

ذلك تعلماً أو تمرن عليه مرانا كثيراً أكسبه المعرفة به كاللغات الأخرى.

أما اللغة الصينية التي قيل: إن لأهلها علاقة بهذه البلاد فإنها بعيدة جداً عن هذه اللغات الثلاث حتى إن الفيتنامية التي هي أقربها من حيث الموقع والمكان إلى الصين لاتربطها باللغة الصينية رابطة وان كانت الكتابة بالحروف الصينية معروفة بها في القديم فإنها الآن تكتب بالحروف اللاتينية بخلاف لغة لاو، التي يراد بها اللاووسية وللغة الكمبودية فإنهما تكتبان بحروف محلية خاصة لارابطة بينها وبين اللغات الأخرى المشهورة.

أما الديانة فإن الجامع بين تلك الأقطار هو الديانة البوذية وإن كانت المذاهب الدينية وهيئة المعابد تختلف في البلدان الثلاثة بعضها عن بعض.

ولكن الديانة البوذية ضعيفة المقاومة إذا احتكت بديانة أخرى لها من ينصرها بقوة فقد سقطت في الشيوعية كما هي الحال في هذه الأقطار الثلاثة فيتنام ولاوس وكمبوديا أو في الاباحية الشهوانية كما في تايلند.

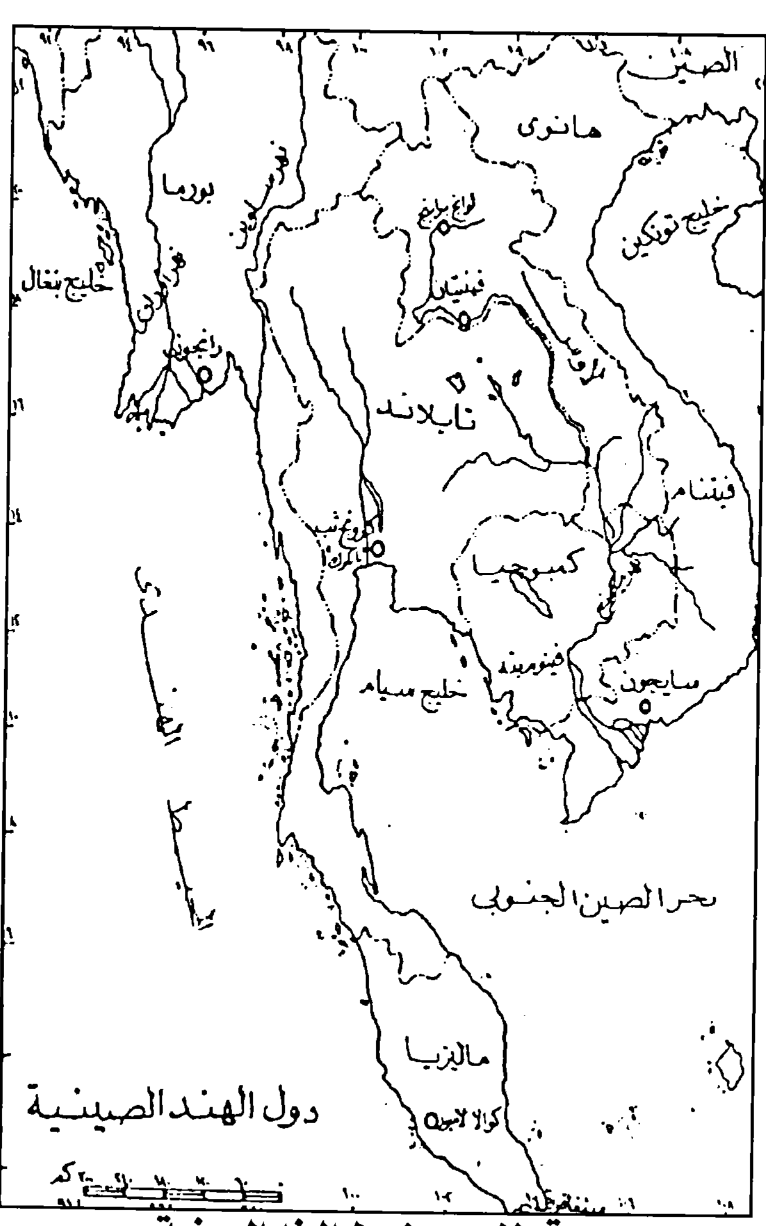
وعلى أية حال فإن كتابنا هذا هو كتاب رحلة يتضمن المشاهدات- والتعليق عليها لاستنتاج ماوراءها، ويحرص على أن يستقصي مايستطيع الوصول إليه من احوال المسلمين في هذه البلاد ومن ذلك وصف مساجدهم ومؤسساتهم، وموقف السلطات منهم والتحديات التي تواجههم، وماينبغي أن نعمله نحن وغيرنا من الأخوة المسلمين القادرين على المساعدة لهم.

وقد بدأت رحلتنا أولاً بلاوس ثم أعقبتها برحلة إلى تايلند للحصول على سمة الدخول والسفر إلى كمبوديا لأن الاتصالات الجوية مقطوعة مابين البلدين الجارين الشيوعيين: لاوس، وكمبوديا ثم انتهت بالرحلة إلى كمبوديا، ووصف مارأيناه فيها من أحوال الناس بعامة، ومن أحوال المسلمين خاصة.

والله المستعان، وعليه التكلان.

مكة المكرمة　　　　　　　　　　المؤلف

محمد بن ناصر العبودي



موقع لاوس بين دول الهند الصينية



القسم الأول : لاوس



تبلغ مساحة لاوس ٩١,٤٦٤ ميلا مربعاً وتحدها الصين وبورما شمالاً، وتايلند غرباً، وكمبوديا جنوباً، وفيتنام شرقاً. وهي دولة مغلقة ليست لها سواحل بحرية، وإنما لها موانئ نهرية على نهر الميكونغ العظيم.

وتعتمد لاوس في اقتصادها على الزراعة وتربية الماشية وتصدير الأخشاب وفيها من المعادن المنجنيز والقصدير والنيكل بكميات متوسطة. كما تصدر مقادير كبيرة من البن والأرز والأفيون.

وتعتبر من الدول النامية. وقد مزقتها الحروب الأهلية والخلافات الداخلية. ثم استولى عليها الشيوعيون في عام ١٩٧٥م، ولكنها تميل الآن إلى الانفكاك من الحكم الشيوعي المتزمت.

يقطنها نحو أربعة ملايين نسمة غالبيتهم يعتنقون الديانة البوذية وفيها أقلية مسيحية ضئيلة.

موجز تاريخي:

كانت لاوس إحدى الممالك المستقلة إلا أنها خضعت لسيام (تايلند) منذ أوائل القرن ١٩ الميلادي حتى سنة ١٨٩٣م حيث استقلت ثم وقعت تحت الحماية الفرنسية حتى الجلاء الفرنسي عن الهند الصينية سنة ١٩٥٤م، وفي عام ١٩٤٧م أسست فيها حكومة محلية مليكة، وفي عام ١٩٥٠م انضمت للاتحاد الفرنسي.

وفي الخمسينات غزتها قوات فيتنام الشمالية «فيت منه» فوقعت في معارك مع الفرنسيين وخلال مؤتمر جنيف ١٩٥٤م انسحبت الجيوش الاجنبية منها بما فيها الفرنسية وأصبحت دولة ذات سيادة نظامها ملكي. ثم تكونت في لاوس عدة خلايا حزبية مما تسبب في أن تقوم حرب أهلية على أثرها انقسمت البلاد إلى ثلاثة قطاعات، الشمالية وفيه رجال الحركة الشيوعية وتؤيدها فيتنام الشمالية. والوسط وفيه المستقلون بزعامة الأمير سوفونا فوما. والجنوب وفيه حكومة يمينية بدعم من أمريكا. وخلال اتفاق دولي سنة ١٩٦١م تم بمقتضاه تأليف حكومة حيادية في البلاد بزعامة الأمير سوفانا فوما ولكنها لم تستمر طويلاً بسبب رغبة الشيوعيين الذين اصروا على محاربة اليمينيين ثم استمرت فيها الحرب الأهلية التي أطرافها أمريكا وفيتنام الجنوبية من جهة وفيتنام الشمالية من جهة أخرى حتى سقطت لاوس بيد رجال (الباتيت لاو) سنة ١٩٧٥م.

المسلمون في لاوس:

المسلمون قلة يتركزون في العاصمة «فنتيان» ولهم مسجدان:

المسجد الجامع: وتقوم عليه جمعية إسلامية أفرادها من الهند وباكستان ورئيسهم «هارون خان» وهو شخصية ذو مكانة في الدولة ورئيس التجار لأهل السوق عموماً من المسلمين والبوذيين.

وإمام المسجد الجامع الشيخ قمر الدين نوري وهو هندي يجيد اللغة العربية.

والمسجد الثاني: للمسلمين المهاجرين من كمبوديا وقد مضى على هجرتهم إلى لاوس مايزيد على أربعين عاماً وهو يقع في العاصمة «فنتيان» أيضاً داخل حي شعبي وبجانب ذلك المسجد مدرسة مغلقة لعدم وجود المدرس.. كما أن المسجد الجامع به مدرسة بالدور الأرضي ولكنها معطلة ولايوجد بها تلاميذ.

وأوضاع المسلمين في لاوس جيدة ويعمل الهنود منهم بالتجارة. وبالمدينة ثلاثة مطاعم إسلامية على مستوى نظيف.

وأما المسلمون الكمبوديون فحالتهم ضعيفة وبعضهم يشتغل بالتجارة. والحكومة في لاوس لا تعارض الإسلام ولا تصادر الحريات والمسلمون يمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية وحرية التنقل في الداخل والخارج ميسرة للجميع. كما أن الحكومة لا تعارض في إرسال مرشدين إليهم ولا تمانع في وصول المعونات لهم.

وعددهم في العاصمة نحو ٦٠٠ شخص منهم ٣٠٠ من الكمبوديين والبقية من الهنود والباكستانيين ولايوجد في المدن الأخرى أعداد تذكر من المسلمين.

وقد دفعنا للمسلمين في لاوس مبالغ مالية رمزية من رابطة العالم الإسلامي للجهات التالية:

أ) الجامع الكبير الذي تشرف عليه الجمعية الإسلامية التي يقوم عليها الهنود.

ب) إمام المسجد الجامع الشيخ قمر الدين نوري مساعدة له.

ج) لمسجد المسلمين الكمبوديين. وسوف يأتي تفصيل ذلك في اليوميات إن شاء الله.

تنشيط العمل الإسلامي :

ويلزم لتنشيط العمل الإسلامي في لاوس في الوقت الحاضر مايلي :

(أ) إرسال مدرسين مؤهلين إلى المدرستين الملحقتين بالجامع الكبير وجامع المسلمين الكمبوديين على أن يكون المدرسون من أبناء تايلند لأن اللغة التايلاندية مفهومة وتتقارب مع لغة لاوس.

(ب) تخصيص مبلغ مالي بالدولار الأمريكي سنوى أو شهري لما يحتاجه الجامع الكبير وجامع المسلمين الكمبوديين بالعاصمة فنتيان من نفقات متكررة واستكمال بناء المنارة ومحلات الوضوء للمسجد الأخير.

(ج) دعوة رئيس الجمعية الإسلامية هارون خان ورئيس جمعية المسلمين الكمبوديين والشيخ قمر الدين نوري إمام الجامع الكبير لزيارة الرابطة وأداء العمرة.

(د) ارسال مقادير كافية من الكتب الإسلامية باللغة التايلندية واللاووسية إن وجدت، وكذلك مقررات دراسية بالعربية.

(هـ) استضافة ثلاثة من كبار المسلمين بلاوس في موسم الحج القادم.

(و) تخصيص عدد من المنح الدراسية لايقل عن خمس في السنة الأولى لأبناء المسلمين في لاوس ليدرسوا في إحدى الجامعات الإسلامية في المملكة العربية السعودية.

يوم الخميس : ٢٩ / ٥ / ١٤١٢هـ
٥ / ١٢ / ١٩٩١م

من هانوي إلى فنتيان :

غادرنا مطار (هانوي) على طائرة الخطوط الجوية الفيتنامية وهي نفاثة من صنع روسي من طراز توبوليف ١٣٤ .

وكانت مغادرة المطار في العاشرة وسبع دقائق أي بتأخير ٧ دقائق عن الموعد المقرر في الأصل للمغادرة وهو العاشرة وهذا لا يعد تأخيراً تعتذر عنه شركات الطيران العالمية وإنما تعتذر في العادة عما زاد عن ربع الساعة أو ثلثها من التأخير.

ولاحظنا أن في مطار هانوي ركناً مليئاً بالطائرات الخشبية التي قصد بوجودها التعمية عن وجود الطائرات الحقيقية إبان الحرب الفيتنامية التي انتهت بانتصار الفيتناميين على الولايات المتحدة الأمريكية أعتى قوة حربية واقتصادية في العالم، مثلما كانوا قد انتصروا قبلها على دولة عظمى في ذلك الحين ألا وهي فرنسا التي كانت تستعمر فيتنام من قبل.

وكانت عناية الخطوط الجوية الفيتنامية بركابها عناية فائقة عرفناها عنها من عدة رحلات ركبت فيها معها سواء في الداخل والخارج أي داخل فيتنام وخارجها وهي في خارجها أفضل.

ومن ذلك انهم وزعوا على الركاب المناديل الحارة المعطرة مع أن الطائرة ليست فيها درجة أولى وانما هي كلها درجة سياحية.

وعندما غادرت الطائرة أرض المطار وجدتني أقول في نفسي:

وداعاً يافيتنام فقد كان ذلك الشعب الصبور الشجاع الصلب المراس على الاعداء لطيف المعشر حسن المعاملة للأجانب الذين يزورون بلاده.

وحتى الادارة التي عرفناها فيه في المطارات والفنادق ومكاتب السياحة هي إدارة منظمة حازمة إضافة إلى الرخص المتناهي في الأسعار، وعدم التضييق على السائح عند صرف العملة الأجنبية بعملة محلية.

إلى جانب شئ آخر مهم لنا نحن وهو ان المسلمين الموجودين في جنوب البلاد وفي الجنوب الغربي لديهم حرية جيدة في تشييد المساجد وفتح المدارس الإسلامية ولايمنعهم عن ذلك مانع إلا ماكان من أمر عجزهم أو تعاجز إخوانهم القادرين على مساعدتهم في الحواضر الإسلامية.

وهذا مايجعل الزائر للبلاد الفيتنامية يتمنى أن يعود إليها.

كيف، وقد لمسنا فيهم عزة في النفس، وترفعاً عن المطامع الزهيدة مع حاجتهم الشديدة إليها فمثلاً أنزل عامل في فندق (هاوبنه) الذي كنا نسكن فيه في هانوي حقائبنا وهي ثقيلة ظل فترة يجاهد في حملها من الغرف حتى وصلنا إلى مكان المصعد في قسم آخر من الفندق ثم أوصلها معنا للسيارة وانصرف دون أن يقف منتظراً لشئ من الحلوان (البقشيش) وهذا نادر وقد ناديته واعطيته ما أرضاه.

وإذا كان القارئ الكريم يحب أن يطلع على ماكتبته عن فيتنام فإنه يمكنه أن يقرأ ماكتبته عنها في كتاب: «أيام في فيتنام».

وأما ركاب الطائرة فإنهم قسمان قسم من أهل المنطقة الذين يمكن أن يطلق عليهم أنهم من ذوي التقاسيم أو الملامح المغولية من أمثال التايلنديين والفيتناميين ونحوهم وقسم من ذوي الأصول الأوروبية الذين منهم الأمريكيون.

والطائرة مليئة بالركاب، ولم أر بينهم من الجنس الأسمر أو العربي أمثالنا أحداً.

وقد اسرعت المضيفات الفيتناميات بتقديم الضيافة الجيدة مع أن الوقت ليس وقت غداء ولا وقت فطور.

وتختار الخطوط الفيتنامية- عادة- مضيفاتها من المثقفات الفيتناميات ويتميزن ببياض البشرة الذي يتميز به بعضهم أكثر من أي جنس آخر من هذا الجنس المسمى بالجنس الأصفر والمراد بذلك منهم من يسكنون في البلاد المسماة في القديم بالهند الصينية ومن قرب منهم. وهن على غاية من حسن المعاملة للركاب والذوق الرفيع في الخدمة.

عندما قمت من هانوي كان الجو غائماً فدخلت الطائرة في جوفه، ولم ينجل المنظر إلا بعد فترة صحا فيها الجو أو لنقل: إننا نحن تجاوزناه إلى منطقة صاحية فتجلى المنظر عن جبال عالية تخللها خضرة كثيفة وينساب بينها نهر جار قادم من اكتاف تلك الجبال.

ثم مالبثت الطائرة أن صارت تحلق فوق سهل متسع بين جبال بعيدة مكسوة بالغابات التي تمتد من أقدامها حتى تكاد تصل إلى قممها العالية. وهذه الجبال هي جزء من جبال (أنام) التي تمتد في

منطقة الهند الصينية وتعتبر الحد الفاصل بين فيتنام ولاوس. ثم وصلنا إِلى بحيرة واسعة، فيها عدة جزر وتحيط بها الجبال الخضر. ولم يكن في الطائرة إِخبار أو ارشاد يوضح مانطير فوقه أو نشاهده.

في مطار فنتيان :

تدنت الطائرة وهي تتدلى فاتضح منظر المنطقة، وجبالها الخضر، وطرقها الترابية الحمر. لأن لون التربية تحتها أحمر وحتى الطرق التي بين القرى خالية من الزفت. ونهر يتلوى وهو واسع المجرى، قليل المياه.

وكثر منظر شراك السمك في النهر، وهي الشبيهة بالحيطان أو الغرف التي تجعل في الماء حتى إِذا جاء المد دخلت الأسماك فيها من المياه فإِذا جزر الماء بمعنى نقص بقيت الاسماك داخلها فجاء أهلها في الصباح وأخذوها.

كما أنني لاحظت أحواضاً عديدة كثيرة قريبة من المدينة لتربية الأسماك، وهذه عادة متبعة في البلدان المطيرة التي يكون مستوى المياه فيها ثابتاً بالنسبة إِلى سطح الأرض مثل بنغلاديش وفيتنام.

هبطت الطائرة في الحادية عشرة وخمس دقائق بعد طيران استمر ساعة إِلا دقيقتين. وذلك في مطار تبدو ابنيته جيدة بالنسبة إِلى مبنى المطار في هانوي.

أما المنطقة حول المدارج فإِنها مكسوة بأعشاب غير مهذبة.

وكان الجو معتدلاً عند الهبوط لايشعر الزائر بحر ولابرد.

وقبيل الدخول إِلى ضابط الجوازات وجدنا كومة من

الاستمارات التي يملأها الداخلون فطلبوا أن يملأ كل قادم نسختين منها ولم يكن في المكتب إلا ضابط واحد، ولكنه كفى للمسافرين لأنهم كانوا يقدمون إليه الاستمارات بعد ملئها واحداً بعد الآخر.

ثم تجاوزناه إلى ضابط الجمارك الذي لمح غلاف جوازي بأنه سياسي فأمر بعدم التوقف عنده.

وصرفنا من بنك في المطار (٢٠) دولاراً امريكياً بـ ١٤٦٠٠ من عملتهم التي تسمى (تيب). وركبنا مع سيارة أجرة إلى فندق ذهبنا إليه من دون حجز، لأننا لم نجد في المطار مكتباً يحجز منه فتقاضى ستة دولارات أجرة إيصالنا للفندق مقدمة.

وتبلغ المسافة من المطار إلى المدينة ٦ كيلومترات.

في فندق فينتيان:

سرنا من المطار إلى عاصمة لاوس: مدينة فنتيان مع طريق جيد مزدوج، ترفرف عليه أعلام حمر، وترى بين الفينة والأخرى معابد بوذية معتنى بها.

ووصلنا بسرعة إلى المدينة فقصدنا فندقاً كبيراً من فنادق الدرجة الممتازة التي دلنا عليه سائق سيارة الأجرة إلا أننا لم نجد فيه غرفة خالية فذهب بنا إلى فندق آخر أقل منه مستوى اسمه (آسيا بوفيلون هوتيل) أي فندق الجاموس الآسيوي.

انزلونا في غرفة فيه لا بأس بها ويصح أن يقال إنه من ذوات الدرجة الأولى غير الفاخرة فهو ذو أربع نجوم، وأجرته معتدلة فهي ٤٨ دولاراً للغرفة.



[شارع الفندق في فنتيان]

لم أضع وقتاً في الغرفة، بل لم أفعل بعد أن وضعت أمتعتي فيها أكثر من أن التقط عدة صور من نافذتها للمنطقة التي اطلعت عليها من المدينة وإنما ذهبت إلى:

جامع فنتيان:

وتبين أنه مشهور عندهم وأنه قريب جداً من فندقي (آسيا بوفيلون) لا تزيد المسافة بينه وبين الفندق على مائة متر.

ثم كنت وحدي في (لاوس) إذ كان الشيخ على عيسى الذي رافقني من فيتنام قد استأذن مني أن يعود إلى تايلند التي يسكن فيها. وسافر رأساً من مطار فنتيان بالسيارة إلى داخل تايلند مخترقاً نهر الميكونغ الذي يؤلف الحدود بين لاوس وتايلند وعليه جسر

للإنتقال إلى تايلند قرب العاصمة فنتيان.

رأيت (جامع فنتيان) ذا مآذن شامخة مبنياً بالأسمنت المسلح بناء ليس بالقديم إذ فرغوا منه قبل ٢٥ سنة، وقد بني على طراز المساجد الهندية غير المعتنى بها من ناحية الالتزام بطراز معين من أطرزة البناء كالمغولي مثلاً.

وذلك أن الذين بنوه ولايزالون يقومون عليه هم المسلمون الذين هم من أصل هندي..

وقد قصدت من سرعة الانتقال إلى الجامع التعرف على المسلمين في هذه البلاد ومن ثم الإطلاع على أحوالهم ومساعدة مشروعاتهم الإسلامية والاستدلال منهم على أماكن الطعام الحلال لكون أهل هذه البلاد مثل أهل فيتنام من الذين لا تحل ذبائحهم للمسلم لأنهم ليسوا من أهل الكتاب.

ولم تكن معي عناوين محددة لكبار المسلمين في هذه البلاد لذلك رأيت استعمال طريقة قديمة لي كنت استعملها قبل شيوع المعلومات والعناوين عن الجمعيات الإسلامية وهي الذهاب إلى المسجد ومعرفة كل ذلك وغيره من أحوال المسلمين ممن ألقاهم فيه. وهكذا كان. فقد ظفرت ببعض ما أريد عندما وجدت أخاً مسلماً من جنوب الهند، ولكنه كان في فيتنام وعندما صارت شيوعية تركها إلى (لاوس) هذه التي هي أخف شيوعية من فيتنام، حتى في عهد طغيان الشيوعيين. واسمه (عبدالحميد غلام محيى الدين) وهو يعتني بالمسجد ويخدمه محتسباً الأجر من الله تعالى وإلا فإنه تاجر غير محتاج لأجرة عمله.



[منظر خارجي لجامع لاوس]

سألته عن تجارته وتجارة الإخوة المسلمين في هذه البلاد؟ فأجاب: إنها جيدة ولنا حرية تجارية لاتوجد في أي دولة أخرى من دول الهند الصينية، والقوم طيبون في معاملتهم معنا.

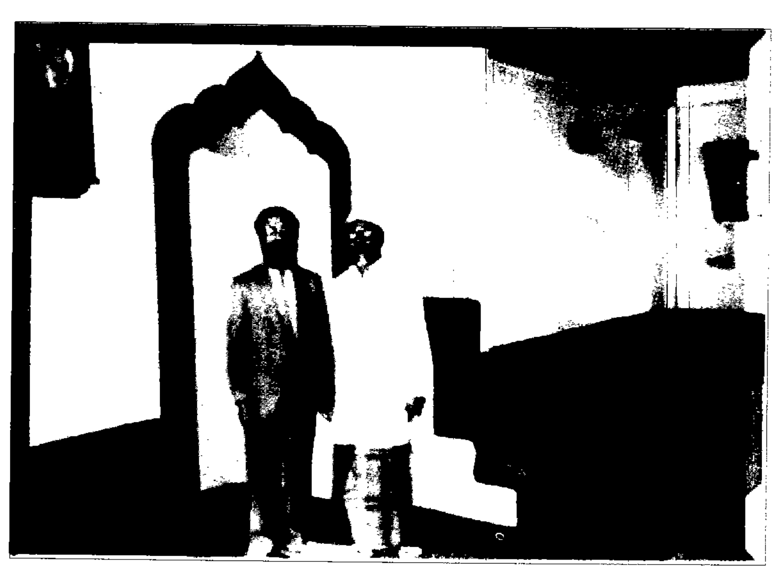
وقال: لقد عشت سنوات أعمل بالتجارة في (هانوي) وجامع (هانوي) بناه المسلمون من تجار الهند، وكانت تجارة الملابس بأيديهم.

وكان القائمون على جامع هانوي من الأخوة السفراء العرب والمسلمين لايعرفون من هم الذي بنوا جامع هانوي فقد كانت هناك حلقة مفقودة مابين خروج المسلمون الهنود من هانوي قبل خلوها من المسلمين المعروفين تماماً وبين وصول أولئك السفراء ولم يجدوا من يخبرهم بتلك الحلقة المفقودة.

أما هنا فإن الرجل ذكر انهم بخير ووجدت عنده امرأة مسنة يتعاون معها على غسل الأرض القريبة من محلات الوضوء في المسجد وهي واسعة معتنى بها مثل سائر مافي المسجد مما رأيته الآن.

مع مولانا:

قال الأخ عبدالحميد عندما أخبرته أنني عربي وكان يتحدث معي بالإنكليزية التي يقل المتحدثون بها في فيتنام، وبخاصة في منطقة هانوي ومايتعلق بها من الشمال قال: إن (مولانا) موجود هنا وهو يعرف العربية. إنه إمام الجامع الشيخ (قمر الدين فوري) وانه مثلي قد جاء من جنوب الهند من ولاية (تامل نادو) التي عاصمتها مدينة مدراس.



[المؤلف في محراب جامع لاوس مع إمام الجامع]

و(مدراس) هي المدينة الرابعة من حيث عدد السكان في الهند والأولى كلكتا والثانية بمبيء والثالثة دلهي. وقد ذكرت أمر مدراس وغيرها من مدن الهند الكبيرة والمتوسطة والصغيرة في كتبي التي ألفتها في الرحلات الهندية وهي ثمانية كتب.

و(مولانا) في اصطلاح الهند هو المتخرج في مدرسة دينية وغالبا مايحمل شهادة (مولوي) من تلك المدارس ويعمل في الأمور الدينية إماما للمصلين، ومدرساً لعلوم الدين أو جامعاً بين الأمرين.

وجاء (مولانا) الشيخ (قمر الدين) وتبين أنه سيكون نافعاً لي لأنه الوحيد في لاوس الذي يعرف العربية من الذين قابلتهم وهو رجل ذو روح محبة للاطلاع وليس كما عليه الحال بالنسبة إلى بعض إخواننا من طلبة العلم الذين لايكرهون الجهل بكثير من أمور الدنيا، أو حتى من أمور الدين التي لا تتصل بعلمهم اتصالاً مباشراً أو هم لايحبون الجهل بذلك وإنما يتخذون من طلب العلم عذراً للجهل بماعداه.

ذكر الشيخ (قمر الدين) أنه أمضى حتى الآن ٢٠ سنة في لاوس إماماً لهذا المسجد.

وعندما سألته عن عمله هنا وهو هندي غريب قال: إن المسلمين هنا هم من الهند والباكستان وكمبوديا، فلايكاد يوجد أناس من أهل لاوس الأصلاء مسلمون ولذلك لا نحس بالغربة فنحن كلنا غرباء كما أن أهل لاوس أناس طيبون يحبون الغريب، ولايناله منهم أذى.

ذهبت مع الامام في جولة على أنحاء المسجد فرأينا طابقاً أرضياً كاملاً واسعاً لأنه بسعة المصلى وواقع تحته فيه مقاعد خشبية جيدة

ذكروا أنه مدرسة ولكنها معطلة لعدم وجود مدرسين يحسنون تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي.

ثم صعدنا للطابق الثاني مع درج واسع نظيف إلى حيث المسجد الرئيسي في المصلى فوجدته مفروشاً بفراش جميل نظيف، وحيطانه ونوافذه كلها نظيفة، معتنى بها، ذات طلاء جديد بهيج، وتحفل مقدمة المسجد بمصاحف وكتب موضوعة في رفوف كثيرة.

ويدل مظهر المسجد سواء من حيث المبنى الواسع الجيد أو من حيث الفراش والصيانة أن الجمعية التي تقوم عليه هي جمعية مجتهدة وهذا أمر عرفته عن الاخوة مسلمي الهند في كل مهاجرهم في أنحاء العالم فهم لابد أينما حلوا أن يفكروا ببناء مسجد أو مصلى ومعه مدرسة أو فصل دراسي لتعليم أولادهم مبادئ الدين الإسلامى



[الكتب في جامع لاوس]

والحروف العربية لايبخلون على ذلك بجهد أو مال.

ولا أعرف جنساً من المسلمين أو لنقل إذا أردنا الدقة اخوانا من الاخوان المسلمين أكثر عملاً لدينهم وعناية باستمرارهم وأولادهم عليه من الأخوة المسلمين أهل الهند في مهاجرهم.

المطعم الإسلامي:

لم أكن أكلت اليوم شيئاً إلا شيئاً قليلاً في الطائرة الفيتنامية لأن الصحن الرئيسي في ضيافتهم كان فيه خنزير فسألت الامام عن مطعم إسلامي اذهب إليه هنا، فأجاب: يوجد هنا ثلاثة مطاعم للمسلمين وأقربها وربما يكون أحسنها واقع أمام فندقك (فندق آسيا بوفيلون) لايفصل بينهما إلا عرض الشارع. فذهبت إليه فوجدته كما ذكر مطعماً إسلامياً يقوم أناس من الإخوة المسلمين من أهل تامل نادو في جنوب الهند واسمه (نورجهان) أي نور العالم بفتح اللام وهذا اسم شائع في الهند منذ القديم.

كنت أتوقع أن أجد أكلة- بفتح الكاف- من المسلمين لأنه مطعم إسلامي ولكنني وجدت معظم الآكلين فيه من الافرنج وذوي المظهر الاوروبي ثم جاء واحد آسيوي ربما يكون من الهند يظهر عليه الثراء والوجاهة فأكل معنا فيه.

كانت الوجبة سخية نظيفة ضمت صحناً من الأرز وقدراً صغيرة من لحم الغنم بالكاري وطبقاً من الخضار المطبوخ وآخر صغيراً من السلطة وخبزتين من الخبز الهندي الذي يسمونه شباتي وهو صغير يخبزونه لك بعد أن تطلبه ثم يأتون به إليك حاراً قد خرج لتوه من

النار، ومع ذلك (البابري) وهو كرقاق الخبز إلا انه أصفر رقيق يصنعونه من نوع من الحبوب أظنه الدخن ويأكلونه في الهند واندونيسيا. ثم كانت الفاكهة من الباباي وختام ذلك الشاي وكله بـ ١٨ تيباً ويساوي ذلك دولارين ونصفا.

إن اللطيف هنا ان الحكومة لاتضع أية قيود على صرف العملة الأجنبية فما عليك إذا لم يكن معك من عملتهم شئ ان تدفع بالدولار ولاتخشى غبنا لأن صرف الدولار معروف والناس يقبلونه منك بسعره كما يقبلون عملتهم سواء بسواء.

وقد كتبوا على هذا المطعم بأنه إسلامي حلال، أو (هلال) كما ينطقون به، مع أن أكثر الآكلين فيه هم من غير المسلمين وذلك لنكهة الطعام ونظافته في طريقة صنعه التي لاتوجد في المطاعم الوطنية، وهذا بالنسبة لاقبال غير المسلمين عليه سواء من أهل البلاد أو من الزوار والسياح.

وعجبت من كون مدينة سايقون الفيتنامية التي تضم ١٤ مسجداً لايوجد فيها إلا مطعم واحد للمسلمين، وارجعت ذلك لوجود المسلمين الهنود الذين يشترون من الطعام الحلال، ويتقنون صنع الطعام الهندي المتميز في مذاقه ونكهته عن الأطعمة الأخرى.

وعلى ذكر الطعام الهندي أقول: إن العيب الأكبر عندي في الطعام الهندي هو الفلفل الحار والدسم الثقيل وفي طعام هذا المطعم لايوجد منهما إلا القليل.

جولة أولى في فنتيان:

فنتيان هي عاصمة دولة لاوس ومركز الثقل السياسي والاقتصادي فيها وفوق ذلك وقبله هي مركز الثقل للديانة البوذية القديمة وكانت قبل الشيوعية أكثر عناية واهتماما بذلك لكن الدعاية الالحادية والشيوعية قد حدت من اقبال الناس على البوذية، وعلى الأرجح صرفت طائفة كبيرة منهم عن اعتناق تلك الديانة.

ولكن ذلك كان أقل مما صار عليه الحال في الدول الشيوعية المجاورة مثل فيتنام وكمبوديا. كانت الجولة مع سائق سيارة الأجرة التي احضرتني من المطار للفندق، إذ وجدته قد أوقف سيارته أمام باب الفندق ينتظر أن يراني.



[شارع في فنتيان]

واسمه (سام سين تاي) وهو من أهل لاوس الأصلاء ومعنى ذلك أنه بوذي ولذلك سألته سؤالاً مباشرا قائلاً: أأنت بوذي؟ أم شيوعي؟ فأجاب بسرعة: إنه بوذي شيوعي، فقلت في نفسي: لقد جمعت بين السيئين.

كان بدء الجولة في الثالثة والنصف فانطلقنا من شارع الفندق وهو رئيسي اسمه (صام شن تاي).

وسألته أول الأمر عن فواكه رأيتها من السيارة معروضة للبيع فأجاب إنها من تايلند.

ومن المعلوم ان الحدود مع تايلند هي نهر ميكونغ العظيم الذي اشتهر وذاع صيته أيام الحرب الفيتنامية وماصاحبها من ثورات واضطرابات في لاوس وكمبوديا.

وتقع فنتيان عاصمة لاوس على ضفة نهر الميكونغ الشرقية وضفته الغربية لتايلند.

لهم علاقات وثيقة بتايلند وبخاصة بالتجارة والاتصالات بين الشعبين وإلا فإن السياسة قد فرقت مابين الحكومتين وأول مايلاحظ الغريب الذي يقدم (لاوس) ويسمع لغتهم قرب نبرات لغتهم واصواتها من اللغة التايلندية، إذا كان مثلي قد زار تايلند عدة مرات واستمع كثيراً إلى لغتها.

معبد أوتي:

هذا معبد بوذي كبير، بل اشبه مايكون بمجموعة من المعابد البوذية. أوقفنا السيارة ودخلنا إليه من بوابة ليس عليها حارس أو مانع

فرأينا أفواج الرهبان البوذيين من صغار على هيئة التلاميذ وهم بالفعل يدرسون الرهبنة البوذية في مدرسة كبيرة داخله وعلى كل واحد منهم خرقتان، وإن شئت قلت رداءآن أو فوطتان شبيهتان بلباس الاحرام للحج احداهما قد لفها حول وسطه وتركها تنزل إلى كعبه والأخرى قد جعلها فوق إحدى كتفيه واخرج عضد إحدى يديه منها فبدا بارزاً يشبه الاضطباع في الحج.

وكلهم يرتدي هذا اللباس بلون أصفر أو برتقالي ولاغير ذلك من الألوان.

وفناء المعبد مغطى بأشجار باسقة متنوعة من أكثرها ظهوراً النارجيل النحيلة القوام الضخمة الفروع.

ورأيت في عضد أحد الرهبان وشماً يشبه رسم حيوان صغير ومأدري ماهو ولم أر السائق الذي هو الدليل أيضاً منشرحاً للحديث مع هذا الراهب ولاسؤاله عن ذلك.

مع العلم بأنني طلبت تصوير أحدهم فأجاب إلى ذلك.

المعبد الذي صار متحفاً:

ثم دخلنا معبداً آخر قديم البناء بدليل أن الأشجار التي ترفرف في فنائه عالية جداً، وذات سوق- جمع ساق- غلاظ.

قال السائق الدليل: استولى عليه الشيوعيون ويريد أنهم صادروه والا فإنهم احتلوا البلاد كلها كما هو معروف وجعلوه متحفاً واسمه (سي سيا كيت).

ذكر دليل فيه ان أول هذا المتحف كان معبداً قديماً صغيراً لم يعرف تاريخه بالضبط، ولكنه قال إنه من مئات السنين.

وأكد ذلك عندما دخلنا قاعة فيه زاخرة بالتماثيل البوذية المرمية بل المكدسة دون ترتيب وأكثرها تماثيل لمعبود البوذيين أو نبيهم الذي صار إلهاً وهو بوذا الذي كان اسمه قبل ذلك...

وتمثله تلك التماثيل في أوضاع مختلفة ولكن أكثرها متشابه، وإنما تختلف المادة التي نحت منها فمنها تماثيل من الحجارة وهي الأكثر ومنها تماثيل الصفر أو النحاس ومنها ما هو مطلي بلون أصفر وتكاد تبلغ بمجموعها المئات.

وهي مملة عند النظر لأنه لا تنوع فيها، فضلاً عما توحيه للمسلم من كونها نحتت لتعبد من دون الله. ومن الطريف في الأمر أن هذه التماثيل الذي قال دليل



[المؤلف في مدخل المتحف البوذي في فنتيان]

التحف وهو خبير بها: إنها من القرن العاشر وهذه المجموعة- وأشار إلى مجموعة أخرى- هي من القرن الحادي عشر. كل هذه التماثيل لا تمثل أشخاصاً من أهل البلاد اللاووسية، بل ولا من أهل بلاد الهند الصينية. وإنما تمثل أناساً غرباء عنهم لأنها- أي التماثيل- ذات أنوف كبيرة واقفة بخلاف أهل البلاد مما يدل على أنها قد جلبت إليهم من الخارج أو أن الذين نحتوها هم من الأجانب.

وتبين أن بعضها ليس لبوذا نفسه، وإنما لأناس من أتباعه الملتزمين بتعاليمه. ولم أر فيها تمثالاً واحداً ذا أنف أفطس أو قصير يشبه أنوف أهل البلاد وهذا بطبيعة الحال ممايشعر الأهلين بأن الديانة البوذية غريبة عنهم لكونها وافدة عليهم.

١٢ ألف تمثال:

رأينا تماثيل أخرى لبوذا وهم يقولون لها تماثيل بوذية على اعتبار انها لبوذا أو مريديه على قلة إبراز الديانة البوذية وتماثيل اتباع بوذا أو مريديه إن كانت لهم تماثيل. وهي أيضاً مكدسة في غرفة أخرى، ثم دخلنا قاعة أخرى مليئة بالتماثيل ولما أبديت عجبي من كثرة هذه التماثيل وكونها ملقاة غير منسقة ولا معروضة عرضاً يوحي بالحركة أو بأنها ترمز إلى معنى معين مفهوم قال الدليل: إن في متحفنا هذا الذي كان معبداً اثني عشر الف تمثال هي التي رأيتم بعضها وبعضها في غرف كالمستودعات ملقى ببعضها فوق بعض.

وسألتهم بهذه المناسبة والدليل خبير بهذه الأمور عن عدد المعابد البوذية في العاصمة فنتيان؟ فأجاب إنها ١٧٥ معبداً في العاصمة وحدها.

مع العلم بأنني رأيت بعضها واسعاً جداً، حتى إن الانسان يدخل إليه بسيارته فيه أبنية متعددة من معابد ومدارس ومساكن للدارسين أو المتعبدين.

وقال الدليل وقال غيره بعد ذلك يؤيد ماقال : إن نسبة البوذيين في البلاد اللاووسية تبلغ ٩٥٪ وأن ٥٪ فقط هم من النصاري والمسلمين، والنصارى أكثر من المسلمين.

لقد قالوا ذلك مفترضين أو قاصدين ان ٩٥٪ هؤلاء هم من أبناء البوذيين وليس معنى ذلك انهم يعتقدون بصحة البوذية وبأنها الدين الحق. فهذا ليس مراداً لهم لأنه ليس صحيحاً في واقع الحال وإنما مرادهم بهذا الاحصاء أن المذكورين لا يعتنقون ديناً آخر غير البوذية وانهم من أبناء البوذيين الأصلاء- أي ان البوذية لهم كما هي لبعض أبناء الديانات الأخرى انتماء وليس اعتقاداً أو التزاماً دينياً.

المعبد الرئيسي :

تبين ان المعابد التي رأيناها ليست هي المعبد الرئيسي للبوذيين في هذه العاصمة وإنما الرئيسي فيها هو معبد في داخله تمثال أصفر ضخم لبوذا نفسه دخلنا إلى هذا المعبد من بوابة رئيسية حديدية في حائط حجري قوي ودفعنا رسماً رمزياً للدخول فصعدنا إلى درج حجري ودخلنا منه إلى قاعة ضخمة يتصدرها تمثال أصفر ضخم لبوذا حوله تماثيل صفر أصغر منه لرجال ونساء حولها الشموع واعواد البخور المحروقة والرهبان الذين يرتدون اللباس الأصفر ذاهبون أو راجعون ولا أدري ماذا يفعلون.

ولم أرهم يسجدون على الأرض لبوذا كما كنت رأيت البورميين - سكان بورما من البوذيين يفعلون- ومع ذلك وجدتني اتلو في خاطري الآية الكريمة ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، وكأنما كنت أسمع جوابهم مثل جواب الوثنيين الأقدمين، ﴿**قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ** (٥٣)﴾ [الأنبياء: ٥٣] فقرأت الآية الكريمة ﴿**لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** (٥٤)﴾ [الأنبياء: ٥٤] وقد سألني السائق بأدب عما إذا كنت أريد أن اتبرع لهذا المعبد بشئ من النقود أوأن أنير شمعة والشمعة لها ثمن فأجبته بالنفي، والسبب في ذلك أنني لا أريد أن أفعل شيئاً مما يفعلون في عبادتهم، وإلا فإن الخسارة طفيفة، ولكن الأمر فيما يعتقدون عبادة وتقرب إلى معبودهم، ولا أريد أن أفعل ذلك، ولو على طريق المجاملة التي اعتادوا على أن يتلقوها من السياح الأجانب.

وتركنا القاعة الكبيرة إلى فناء المعبد الذي فيه غرف محيطة به من داخل السور وفيها رواق من الخشب القوي.

بوذا يحمل إناء الأرز:

نوه السائق ومن بعده الدليل بأننا سوف نزور متحف (هو فاكيون) ولم يكن ذكر الاسم ليزيدنا معرفة به، ولكنهم نوهوا أيضاً بأنه معبد قديم حولوه إلى متحف.

أهم ما في فنائه الخارجي تمثال ضخم لبوذا وهو يحمل إناء الأرز، وقد نحت هذا التمثال قبل اربعمائة سنة، وقد ذكرني هذا بما سبق أن رأيته في عدة بلدان تدين بالبوذية من كون صغار الرهبان

يحملون الأواني في الصباح ويطوفون بالبيوت يجمعون منها الأرز المطبوخ. وأكثر من رأيتهم يفعلون هذا رهبان البوذيين في بورما كما رأيت بعض شيوخ الرهبان في فيتنام يفعلون قريباً من ذلك إذ كانوا يسيرون الهوينا ومعهم أواني الأرز فارغة ولكنهم لم يكونوا يطرقون البيوت، على أنني عرفت في البلاد البورمية أن أهالي البيوت يعرفون هذا من البوذيين فيزيدون فيما يطبخونه من الأرز، وقد يعطونهم شيئاً قليلاً لا يؤثر على ماعندهم.

ويأخذ الرهبان هذا الأرز في الأواني التي تكون عادة من الخزف، أومن الآجر فيذهبون به إلى المعبد ويأكلون منه طول يومهم.

ولاحظت أنهم ينطقون كلمة (بوذا) بالذال المعجمة التي ينطق بها في العربية تماماً وليس (بودا) بالدال المهملة كما في الإنكليزية.

وفي داخل المتحف في غرف متعددة جرار من الفخار وتماثيل عديدة لبوذا.

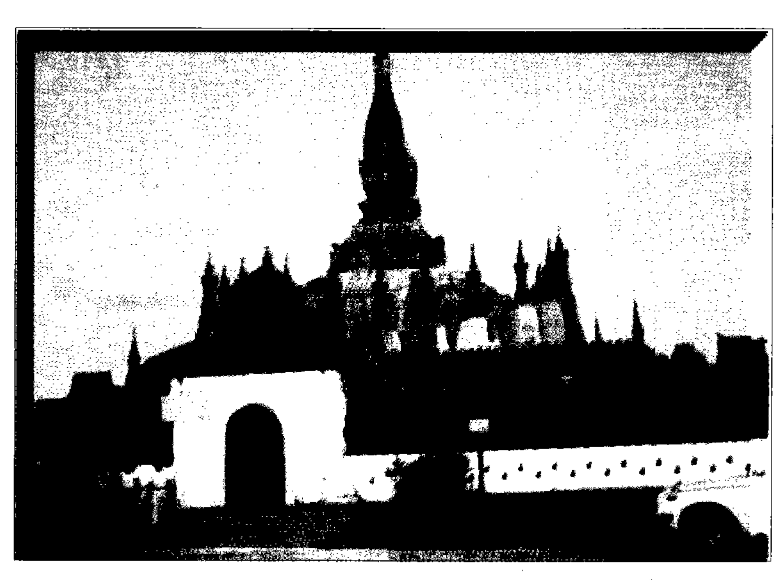
وفي القاعة الرئيسية منه تمثال كبير لبوذا وهو يجلس متربعاً ولكن لون التمثال أسود اللون بخلاف العادة في تماثيله في المعابد البوذية وبخاصة في سيلان وتايلند إذ يكون أصفر وأحياناً يطلون تماثيله باللون الذهبي وفي المعابد القديمة الغنية يكسون تمثاله برقائق من الذهب الخالص.

وذكروا ان هذا التمثال الأسود اللون لبوذا صنع هنا في لاوس قبل (٢١٠) سنوات، إلا أن أنفه أقنى أي شامخ مرتفع وليس كأنوف اللاووسيين أو أبناء عمومتهم التايلنديين.

وأنفس المعروضات في هذا المتحف من الناحية التاريخية تمثال لبوذا يرقى تاريخه إلى ألف ومائة سنة وباب نافذة من الخشب المخروط نقش قبل أربعمائة سنة.

شارع لان تانغ :

تركنا المعابد البوذية وشأنها وتوجهنا للبحث عن مكان مهم في المدينة لنطلع على الناس والبيوت المعتادة فيها فسلكنا شارعاً رئيسياً واسعاً اسمه (لان تانغ)، وهو من اتجاهين مزفلتين. وتبين لنا من حال هذا الشارع وماقبله من شوارع مدينة فنتيان أنها واسعة، وان أهم الأشجار فيها أشجار النارجيل الباسقة التي تراها في أي اتجاه وجهت نظرك إليه.



[متحف ذات لوانغ]

ولكن المعابد أو المتاحف التي حولت إليها المعابد لم تتركنا فهي أهم مايرون ان يطلعوا السائح عليه في هذه البلاد.

إذْ رأينا أن شارع (لان تانغ) المهم يغلقه من جهة الشرق مبنى كبير أشبه مايكون بقوس النصر تتوجه قبة ظاهرة ويحيط به ميدان هام، وغير بعيد منه مبنى ضخم لمتحف ذكروا أن أصله معبد اسمه (ذات لوانغ) وجدناه مغلقاً لأنه يغلق قبيل الخامسة.

ورأينا رهبان البوذيين الشبان وهم طلبة المدارس الدينية البوذية يدخلون ويخرجون من جهة مجاورة له عليهم الملابس الصفر أو البرتقالية المعروفة. وهي التي لايكون فيها شئ مخيط أو مفصل على جسم الإنسان وإنما هي أشبه بفوطتين اثنتين، ولكنهم هنا زادوا شيئاً إذ رأينا أولئك التلاميذ البوذيين أو إن شئت الدقة قلت: انهم الرهبان الصغار قد حمل كل واحد منهم في يده شمسية وهي المظلة الواقية من المطر، مع أنه لم يكن هناك مطر، إذ الجو صحو وليست هناك شمس حارة لأن الغروب لم يبق عليه إلا حوالي الساعة. ومع ذلك بحثت عن أي واحد منهم وهم عشرات لا يحمل تلك المظلة فلم أجد.

وذكر لي بعضهم أن المعهد الديني الذي يدرسون فيه يكون في أحد المعابد في العادة هو الذي اعطاهم تلك المظلات.

بلاد البوذية:

وهذا الذي رأيناه يؤكد لنا ماكنا سمعناه من أن (لاوس) هذه هي بلاد البوذية وليست مجرد بلاد بوذية وأنه لولا ماضيها البوذي

العريق وتمسك أهلها بتلك الديانة لكانت اضمحلت أو كادت مع قيام النظام الشيوعي أو اليساري الذي يسيطر عليه الشيوعيون في لاوس.

ثم عدنا مع شارع (لان تانغ) فمررنا بمبنى وزارة خارجية لاوس تقابلها سفارة فيتنام وكل واحد من المبنيين واسع تحيط به حديقة غناء.

والسيارات في شوارع المدينة موجودة بكثرة نسبية فهي أكثر منها في شوارع العديد من البلدان الشيوعية مثل الصين الشعبية التي لا يستطيع الفرد من أهلها ان يتملك سيارة خاصة وإنما يمكنه أن يمتلك دراجة وكذلك هي أكثر بكثير من السيارات في شوارع المدن الفيتنامية.

فالسيارات الخاصة في لاوس موجودة بكثرة وقد قابلنا بعد ذلك عدداً من الأخوة المسلمين الذين يملكون سيارات خاصة بهم.

كما أن سيارات الأجرة المميزة التي كتبت عليها كلمة (تاكسي) موجودة ومتوافرة وهي لا توجد مطلقاً في مدن فيتنام، كما أنني عندمازرت الصين لأول مرة قبل سبع سنين لم أر بها أية مدينة فيها سيارات أجرة مثل هذه إلا في مدينة (كانتون) في جنوب الصين لأنهم يعتبرونها مدينة مفتوحة للسياح والتجار الأجانب.

بل ان السيارات التي تسير في شوارع مدينة فنتيان هذه أكثر من السيارات في شوارع المدن التي تماثلها في الحجم وعدد السكان في الهند التي هي دولة غير شيوعية.

واللافتات بعضها مكتوب بالتايلندية لأن لغتهم شقيقة للتايلندية ويتفاهمون مع التايلنديين بدون صعوبة إذا ماتكلم كل واحد من الجانبين بلغته. وبعضها مكتوب بالانكليزية واما الفرنسية التي هي لغة المستعمرين السابقين فقد انمحى أثرها من البلاد حتى صار الذين يعرفونها قلة من كبار السن.

لاو مثل تاي :

وعلى ذكر القرب بين اللغتين التايلندية واللاووسية أقول: إن أهل البلاد يسمون انفسهم (لاو) وهي التي تطورت فصارت تنطق في الاصطلاحات الدولية (لاوس) بزيادة سين تماماً مثلما يسمي التايلنديون بلادهم وانفسهم (تاي) يحذفون منها كلمة (لاند) التي تعني ارضا بالإنكليزية وحتى لغتهم هنا يسمونها (لاو) مثلما يسمون انفسهم عندما يتحدثون عن جنسهم.

وربما كان ولايزال عالقاً في أذهان كبار السن منا الذين كانوا يتابعون أخبار الحروب في الهند الصينية في عهد الاستعمار الفرنسي هناك، ثم في عهد الإنتشار أو الاستئثار الأمريكي أن جماعات من الثوار اللاووسيين الوطنيين كانوا يسمون أنفسهم (باتيت لاو) فهذه تعني الوطن اللاووسي، لأن (باتيت) وطن بلغتهم و(لاو) لاوس أولاووسي.

وعن الفروق الطفيفة بين اللغتين التايلندية واللاووسية قال لي أحد العارفين باللغتين: إن الفرق بينهما في الكتابة لايزيد على ٢٠٪ والفرق بينهما في النطق والفهم لايزيد على ١٠٪. ويخيل للغريب الذي ينتقل مثلي من فيتنام إلى لاوس أن الفيتناميين يتميزون بالحدة والذكاء، واللاووسيين يتميزون بالسذاجة والهدوء، وأما وجاهة المنظر فإن التايلنديين يبدون أكثر وجاهة منهم في عين السائح الأجنبي، وناهيك بمن يكونون أقل وجاهة في المنظر من التايلنديين !.

مع أعضاء الجمعية الإسلامية :

كنت طلبت من إمام الجامع الشيخ (قمر الدين) ان يجمعني بالأخوة المسلمين أعضاء الجمعية الإسلامية في المسجد لأن له مكتباً يجتمعون فيه وان يكون ذلك بعد صلاة العشاء في السابعة. وقد حضر بعضهم بالفعل في مكتب الامام في المسجد على رأسهم رئيس الجمعية الإسلامية الأخ (هارون خان) وهو باكستاني هاجر إلى هذه البلاد للتجارة في عام ١٩٥٧م.

المسلمون في لاوس :

تحدثت حديثاً مطولاً مع الاخوة المسلمين بينت فيه الغرض من قدومي إلى هذه البلاد، وأنه الاطلاع على أحوال المسلمين وبحث الأمور المتعلقة بالتعاون في المستقبل مابين رابطة العالم الإسلامي وبين المسلمين في هذه البلاد. وبينت ماتستطيع الرابطة أن تقدمه للإخوة المسلمين هنا مما قد يعتبرونه مساعدات ونحن نعتبره واجباً وذلك فيما يتعلق بإعمار المساجد وارسال الدعاة وتخصيص المنح الدراسية وارسال الكتب الإسلامية والتعرف على زعماء المسلمين ووجهائهم الذين يمكن أن يدعوا إلى الاجتماعات والمؤتمرات الإسلامية التي تقيمها الرابطة.

وقد شكروا ذلك وذكروا أننا أول وفد إسلامي من المملكة العربية السعودية يصل إلى هذه البلاد.

وكان الحديث يدور بالعربية يترجمه الامام إلى الاوردية لغة المسلمين في الهند وباكستان. ثم تحدثوا أحاديث مفصلة مطولة عن أحوال المسلمين وعددهم في هذه البلاد وهي أحاديث سمعت مايؤيد بعضها قبل ذلك من الإمام والأخ عبدالحميد وغيرهما كما كان بعضها في أوراق عندي في الرابطة.

ويمكن تلخيص ذلك المتعلق بالإسلام والمسلمين في لاوس في الوقت الحاضر بمايلي:

يبلغ عدد المسلمين في لاوس نحو ستمائة شخص وهم من الهند وباكستان وكمبوديا.. وأكثرهم عدداً هم أهل كمبوديا يليهم الباكستانيون ثم الهنوّد.

أما أهل لاوس الأصلاء فإن عددهم قليل جداً ولايعرفون منهم إلا رجلين وجلهم يعيش في العاصمة (فنتيان).

وفي مدينة سونكي ٦ مسلمين وفي سيابوري ٣ مسلمين، كما أن في مدينة (لونغ برافانت) ثلاثة من المسلمين أيضاً. وفي توانكر ٣ أسر مسلمة.

والمسلمون الموجودون هم قدماء في الإسلام وأغلبهم إن لم يكونوا كلهم من آباء مسلمين من قبل، ولايكاد يوجد بينهم مسلم جديد.

وقد عللوا ذلك بنقص الدعاة والمرشدين ثم بانعدام الدعاة للمسلمين الجدد وعدم العناية بهم. وركزوا على ان التبليغ والدعوة يجب أن يكونا باللغة اللاووسية التي تفهمها العامة منهم. وذكروا ان

المسلمين كانوا أكثر مما هم عليه الآن، ولكنهم رحلوا عندما استولى الشيوعيون على الحكم ولم يعودوا وإلا فإن الحالة الآن جيدة جداً بالنسبة إليهم فلا يوجد ضغط موجه إليهم أصلاً، كما ان التجارة حرة مثلما أنهم أحرار في ممارسة شعائر دينهم.

ولا يوجد في فنتيان إلا جامع واحد كبير وإنما يوجد مسجد آخر للمسلمين الكمبوديين في أحد الأحياء من ضواحيها (وسوف نراه) ونرى مدرسة إسلامية للإخوة الكمبوديين في لاوس. ويأتي الحديث عن ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

السفارات الإسلامية :

لاتوجد سفارة عربية واحدة مفتوحة في لاوس إلا ممثلية فلسطين وكانت السفارة المصرية مفتوحة في لاوس وكان الأخوة المسلمون – فيما أخبروني به– يتصلون بها، ويطلبون منها المساعدة على الحصول على مصاحف ونحو ذلك، كما كانت تساعدهم من موقعها لدى الحكومة اللاووسية. واما سفارات الدول المسلمة فلاتوجد منها إلا اثنتان هما سفارة اندونيسيا وسفارة ماليزيا، وذكروا أن موظفي السفارتين يؤدون صلاة الجمعة مع المسلمين في الجامع.

هذا وقد انتهى الاجتماع في التاسعة وعدت إلى الفندق وحدي أسير على قدمي ومعي مصورتي معلقة في يدي من دون أن أخشى إلا الله، فالأمن مستتب في هذه البلاد والاعتداء على الناس أو انتهاب مامعهم أمر لايحدث.

هكذا قال لي الأخوة المسلمون وكذلك عرفت الأمر فيما بعد.

يوم الجمعة: ٣٠ / ٥ / ١٤١٢هـ- ٦ / ١٢ / ١٩٩١م

افطرت مبكراً في مطعم صغير يملكه أحد الاخوة المسلمين وطعامه رخيص جداً مع أن جميع الذين وجدتهم يأكلون فيه هم من الأفرنج وقد قدموا بيضاً مقلياً وخبزاً وزبداً وشاياً كل ذلك بخمسمائة (تيب) أي أقل من دولار واحد لأن الدولار الأمريكي يصرف الآن بسبعمائة وثلاثين تيباً.

و(التيب) هو عملة لاوس خاصة بها، بخلاف عملة فيتنام فهي (دونغ) أو عملة كمبوديا هي (ريال) أما تايلند المجاورة فلها (البات) المعروف.



[الزقاق الذي يوصل إلى جامع فنتيان]

ويعمل فيه فتى وفتاة من المواطنين الاووسيين وليس فيه من الهنود أحد، رغم كون صاحبه من الهند بخلاف مطعم أمس فإن فيه هنوداً ولاووسيين.

جمعة لاوس :

ذهبت إلى جامع لاوس القريب من فندقي قبل دخول الامام بقليل وقد أخذت عدتي للصلاة طاقية أضعها على رأسي مثل الاخوة المسلمين هنا وعلقت مصورتي في يدي على أمل أن أجد من يقوم عني بذلك ولا أود أن أقوم بذلك بنفسي.

كانت مآذن المسجد شامخة رشيقة تطاول أشجار النارجيل الباسقة، وتعلن بوجودها عن وجود للإسلام والمسلمين في هذه البلاد وان عدم الكثرة العددية، فإنه لم يعدم التفوق النوعي.

وقد كتبوا لافتة المسجد بالحروف العربية (بن جين جامع مسجد) أي المسجد الجامع في بن جين وهي المحلة التي يقع فيها.

كان القوم لايزالون يتقاطرون على المسجد، وقد امتلأ بهم المصلى أو كاد وأكثرهم من ذوي الوجوه الهندية الذين لايوجد فيهم من هو حاسر الرأس في المسجد وقد استعد أهل المسجد لذلك فخصصوا طواقي- جمع طاقية وهي القلنسوة- لمن يحضر يستعيرها يضعها على رأسه مدة الصلاة ثم يتركها في المسجد وربما تكون قد لبسها جماعات قبل أن تغسل.

وبعضهم يحضر قلنسوته معه في جيبه ومن لم يكن كذلك فإنه

قد يخرج منديل القماش اليدوي من جيبه فيبسطه ويعقده على رأسه وقد يبين أثر الاستعمال فيه من تفلة أو بقعة غير محببة وان كان هذا على قلة لكون القوم يحرصون على أن يكون المنديل نظيفاً مثل ثيابهم التي كانت نظيفة كلها في المسجد.

وكان الامام يلقي موعظة غير الخطبة مثلما عليه العادة في أكثر البلدان الأعجمية حيث يلقي الامام موعظة بلغة القوم قبل أن يؤذن للصلاة ويلقي الخطبة التي تكون بالعربية أو تكون غالبيتها العربية.

ثم أذن المؤذن لصلاة الجمعة الأذان الأول وهو واقف من مكبر للصوت في شرفة المسجد وليس من المنارة العالية وذلك بأن المصلين ومن يريد الصلاة يعرفون الوقت وليس جيران المسجد كلهم من المسلمين.



[في الجامع قبل الصلاة]

نهض (مولانا) الامام الشيخ قمر الدين إلى المنبر بعد أن أدى الحاضرون ركعتين سنة لايكادون يخلون بها وصعد المنبر وبيده عصا غليظة طويلة مرصعة بالصدف وهو يمسك بها اتباعاً للسنة وإلا فإنه. لايعتمد عليها لأن سنه وصحته لاتحوجانه إلى ذلك.

وجاء المؤذن ووقف أمام هذا المنبر وأذن الأذان الثاني. وخطب الامام خطبتين قصيرتين بالعربية لا اعتقد أن أحداً ممن أمامه من المصلين يعرف شيئاً من معناهما غيري.

ثم دخل في الصلاة بعد ذلك فقرأ قراءة مجودة متقنة.

ومن الملاحظ انهم يجهرون بالتأمين لكون أكثرهم من الشافعية مما يدل على أنهم، أو أكثرهم هم من أهل جنوب الهند الذين هم من الشافعية بخلاف أهل شمال الهند الذين هم من الحنفية ولايجهرون بالتأمين وبعد انقضاء الصلاة نهضوا جميعاً فصلوا السنة أربعاً كل ركعتين في تسليمتين ثم شرعوا بالدعاء ويؤمنون بعده والامام يقودهم فيه، وبعد الدعاء بدأوا بالصلاة على النبي ﷺ بلفظ منغم وبأصوات مرتفعة منسجمة.

وبعد ذلك انتهت مراسم الصلاة والمفروض ان يخبروا ان الصلاة المفروضة للجمعة هي ركعتان ويسن بعدها أداء السنة كل حسب قدرته ووقته لا ان يشعر عامتهم أن هذه الأدعية والركعات المعينة بعد الصلاة هي واجبة وجوب الصلاة.

بيت المال :

أخذ الأخوة المصلون بعد ذلك يسلم بعضهم على بعض وذلك لكونهم يسكنون في أماكن متباعدة لا يجمع بينهم إلا أداء فريضة الجمعة وكان فيهم قوم من (الدبلوماسيين) الأندونيسيين والماليزيين جاءوا لحضور الجمعة بسياراتهم (الدبلوماسية).

أما أنا فإن بعضهم سارع بالسلام عليَّ وسؤالي عن الحال والمآل وذلك لكون رئيس الجمعية الإسلامية والأخ هارون خان وإمام المسجد كانا واقفين معي، وبعضهم ممن كانوا في آخر المسجد لم يفطنوا لوجودي لأنني لم أكن ألبس الملابس العربية وكنت صليت في الصف الأول ولم اتكلم فيهم لأنه لم يطلب أحد مني ذلك، وأنا لا أعلم أثر ذلك على المسلمين لدى السلطات الحكومية.



[السنة بعد الصلاة في جامع لاوس]

ثم انصرفنا فاسترعى انتباهي صندوق مكتوب عليه بالعربية (بيت المال) فقلت في نفسي: مالهؤلاء الإخوة الكرام وبيت المال؟.

وتبين أنه صندوق التبرعات كتبوا عليه بلغتهم التي هي الأعلى تحتها العربية (بيت المال) وتحت العربية الانكليزية. وهو صندوق التبرعات.

مأدبة رئيس الجمعية الإسلامية:

كان الأخ (هارون خان) قد دعاني إلى تناول الغداء في بيته اليوم- ذهبنا معه بسيارته وهي سيارة شحن صغيرة (وانيت) وذلك أنه صاحب أعمال تجارية.

وتبين من الحديث معه أنه شخصية مهمة وذو مكانة رفيعة عند الناس وعند الحكومة فهو مثلاً رئيس أهل السوق رسمياً وقد انتخبه أهل السوق لذلك وصادقت الحكومة عليه.

والمقصود بأهل السوق التجار فيه وهم أجناس مختلفة فيهم باكستانيون وهنود وفيتناميون وصينيون.

وذكر أن لديه (٣٢) شهادة تقدير من الحكومة يحتفظ بها الآن في بيته.

ويقع بيته في حي (يون ساي) الذي أكثر بيوته من الخشب المرفوع عن الأرض بخشب أو بلبن الاسمنت اتقاء للرطوبة وإن كانوا يبلطون أرضه بالحجارة على أن بعض البيوت فيه مبنية من الأسمنت.

وتكاد البيوت فيه تختفي بين الأشجار الباسقة، من النارجيل

والأنبه (المانقو) وغيرهما دخلنا إلى بيته فشعرنا أننا بالفعل في بيت أخ مسلم لأنه يحفل باللوحات الإسلامية التي أكثرها بالعربية فيها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

كما علق فيه صور أقاربه.

ثم جاءت خادمة من أهل البلاد بأطباق الطعام وهو باكستاني أصيل إلا أنه خال من الفلفل الحار وإنما جعلوا الفلفل في صحن وحده جاءوا بمقدار كبير منه، فرأيت الأخ هارون والإمام قمر الدين قد أمعنا في الأخذ من ذلك الفلفل الحار ووضع ذلك مع طعامهما حتى أتيا عليه، أما أنا فقد عافاني من ذلك كونهم ابعدوه عن طعامي.

وعماد الطعام الارز وخضار منوع اهم ما فيه الفاصوليا ثم دجاج وكباب من الذي يسمونه شيش كباب وهو قطع صغيرة من لحم الغنم المشوي على النار في قضيب من الحديد، وأما السلطة فإنها الخيار. وفي ختام ذلك جاءوا لي بالشاي الذي يسمونه سليماني، وهو الخالي من الحليب، ويكون خفيفاً، خلاف الشاي الهندي المعتاد الذي يصنعونه في جميع أنحاء الهند فإنه يكون ثقيلاً أسود اللون فيضيفون إليه الحليب لكي يقاوم ذلك.

لم يكن بالمستطاع التحدث مع الأخ هارون مباشرة لأنه يعرف ثلاث لغات ليس من بينها ما أعرفه فهو يتحدث الأردية والبشتوية وهي لغة ولاية (سرحد) التي عاصمتها بيشاور لأنه من هناك كما يعرف لغة (لاو) التي هي اللغة اللاووسية لغة هذه البلاد.

أما الأمام قمر الدين فانه يتكلم العربية بطلاقة كما يعرف لغته الأصلية (التاملية) بطبيعة الحال ويعرف إلى ذلك الأوردية والانكليزية

واللغة المحلية (لغة لاو) ولذلك كان هو المترجم لي طول بقائي في لاوس.

على ضفاف الميكونغ:

نهر (الميكونغ) من الأنهار الكبيرة الرئيسية في بلاد الهند الصينية ولكن ذلك ليس هو الذي أعطاه الشهرة وذيوع الصيت وإنما كان ذلك لما وقع فيه وماحوله من أحداث إبان حروب الهند الصينية سواء ماكان منها من أجل الاستقلال عن الحكم الفرنسي أو من أجل محاربة النفوذ الأمريكي الذي خلفه.

وكنت رأيت هذا النهر ووقفت على ضفافه الغربية من الجانب التايلندي والتقطت صوراً تذكارية هناك ووقفت منه في موضع آخر مهم هو المثلث الذهبي الذي يؤلف الحدود ما بين تايلند وبورما ولاوس وهو مثلث مشهور بأهميته بسبب الاحداث التي وقعت فيه ومايتكرر فيه فهو منطقة مشهورة لتهريب السلاح والمخدرات ولحروب العصابات.

ولذلك عندما اتيحت لي فرصة رؤية ضفاف (الميكونغ) الشرقية اللاووسية بادرت إلى رؤيتها.

فذهبنا مع الأخ الكريم هارون خان ومعنا إمام الجامع الشيخ قمر الدين حتى وقفنا على ضفاف النهر في ضاحية من ضواحي المدينة متوسطة المستوى ولكن ضفاف النهر كانت مهملة بل كانت سيئة المظهر خالية من العناية.

حتى الشارع المحاذي للنهر وهو الذي تسميه العامة في البلدان العربية في الوقت الحاضر (كورنيش النهر) هو سئ إذ زفلتته ضعيفة وضيقة وجانباه خاليان من الأرصفة وإنما هما غبار يتطاير كلما مرت بهما سيارة أو مر قروي معه بقرته فيه.

والنهر منخفض المجرى بمعنى أن ضفافه مرتفعة عن مستوى النهر، ولذلك لابد لمن يريد أن يمس ماءه من أن ينزل إليه نزولاً طويلاً.

وأما مياهه فإنها ضخمة أقدر أن عرضه في عرض نهر النيل.

سوق المساء:

كنت رأيت سوقاً أمس معتاداً لم يخبرني السائق باسمه وتبين لي اليوم أن اسمه سوق الصباح وذلك أن الباعة كانوا في الماضي يأتون ببضائعهم على دراجات أو فوق ظهور الدواب أو على السيارات يعرضونها للمشترين في هذا السوق.

واليوم سنذهب إلى سوق المساء الذي سمي بذلك لأنه كان في الأصل موقفاً لباعة بضائع يتنقلون ببضائعهم ولكنه الآن صار سوقاً مستقرة بحوانيت ثابتة، إلا أن اسم سوق المساء لايزال معروفاً به لم يتغير.

والقصد من الذهاب إلى سوق المساء هو رؤية اخينا في الله (موسى بن ابوبكر) رئيس المسلمين الكمبوديين الموجودين في منطقة العاصمة فنتيان لأن له حانوتاً في هذا السوق: سوق المساء.

انطلقنا مع شوارع فنتيان الواسعة التي تظلها أشجار النارجيل الباسقة وإن لم يكن ذلك بصفة شاملة أو منظمة فمثلاً قد يرى المرء

تجمعات من هذه الأشجار متقاربة على هيئة الغابة ثم يرى مكانا أو شارعاً ممتداً ليس فيه شئ منها.

ويلفت النظر هنا منظر المياه المستعملة وهي تخرج من البيوت لتصب في قناة تكون في وسط المدينة مغطاة ومن أطرافها مكشوفة وقد مرت تلك القناة أمام البيوت لهذا الغرض وهذه عادة استوائية رأيتها في معظم المناطق الاستوائية المطيرة في آسيا وافريقية وبين الامريكتين وبخاصة في شمال امريكا الجنوبية حيث خط الاستواء.

والسبب في وجودها كذلك ان البلاد مطيرة فيأتي المطر ويحمل معه الخبث الموجود في هذه المساجد المستعملة ويذهب به إلى خارج المدينة إلى حيث البحر أو النهر أو مكان منخفض، وفي هذه المدينة بالذات يذهب ذلك إلى نهر (الميكونغ) الذي هو منخفض المجرى.

مسجد الأظهر :

وصلنا إلى حي حديث لم يستكمل بناء البيوت فيه حتى الآن وهو واسع الشوارع مشتبك الاعشاب في الأماكن غير المعمورة منه.

فوقفنا عند (مسجد الأظهر) وهذا هو المسجد الثاني في مدينة فنتيان وقد بناه اخواننا المسلمون من أهل كمبوديا بخلاف جامع فنتيان فقد بناه الاخوة المسلمون من أهل الهند.

وقد كتبوا لافتة المسجد على البوابة الخارجية له بحروف عربية (مسجد الأظهر) وفوقها كتابة بالحروف العربية للغة (التشامبا) الذين هم الجماعة المسلمة القوية في كمبوديا وجنوب فيتنام وسوف

يأتي ذكر لهم عند الكلام على كمبوديا كما ذكرتهم في كتاب: (أيام في فيتنام).. دخلنا مع البوابة الخارجية الواسعة إلى فناء مكشوف مسور كله فوجدنا المسجد عليه لافتة داخلية بخط عربي جميل: (لا إله إلا الله محمد رسول الله، مدرسة الاحسان ١٩٩١، إمام يعقوب بن يوسف).



[الأخ هارون خان والإمام الشيخ قمر الدين في مدخل الجامع الأظهر في فنتيان]

وهذه الكتابة العربية تدل على وجود المدرسة وعلى اسم الامام والمسؤول عن إمامة المصلين في المسجد وعن سير التدريس في المدرسة وهو الامام يعقوب بن يوسف، وعرفنا أن السبب في التنويه باسم الامام هو قلة الأئمة وطلبة العلم عندهم، إذ يحدث أن يأتي المسلمون من عامة الناس الذين لايحسنون شيئاً من أمور دينهم لكي يؤدوا

الصلاة فلايجدون أحداً يستطيع إمامتهم في الصلاة لكثرة الجهل بأمور الدين فيهم وقلة المتعلمين تعليماً إسلامياً فيهم.

دخلنا المدرسة التي تقع بجانب المسجد أولاً فألفيناها في مبنى جيد جديد فيها مقاعد دراسية جيدة نظيفة وسبورة ولكن لم نجد فيها أحداً، ولا حول المكان من أحد.

ثم دخلنا المسجد فوجدناه نظيفاً من الداخل غاية النظافة إلا أنه متوسط السعة ومنبره من الرخام مثلما كنت رأيت أهل جنوب فيتنام يصنعون في منابر الجوامع إذ يبنونها من رخام أبيض أو أزرق أو ملون مع كثرة الأخشاب عندهم وسهولة الحصول عليها.

وهذا يدل على أنهم يصلون الجمعة فيه، ولذلك وجدنا فيه عدداً من القلانس (الطواقي- جمع طاقية) ولكنها من القش وليست



[مدخل الجامع الأظهر في فنتيان]

من القماش مثل (طواقي) الهنود وفراشه جيد، وفيه ساعة حائط مضبوطة.

ويقع المسجد في حي (نون تان). وقد صورت شارع المسجد، الخالي من الزفت.

ومنه يخرج المرء إلى الشارع العام في الحي الذي هو مزفت ولكن قنوات المجاري تحيط به وتسير محاذية للبيوت فيه.

مع رئيس المسلمين الكمبوديين :

كنا ذهبنا مباشرة للمسجد والمدرسة على ظن أن نجد الأخ موسى بن أبوبكر رئيس المسلمين الكمبوديين هناك ولكن تبين أنه في متجره.



[المؤلف مع الأخ موسى ابوبكر رئيس المسلمين الكمبوديين في لاوس في السوق الذي فيه متجره في سوق المساء]

سلمت على الأخ (موسى بن أبوبكر) وهكذا ذكر اسمه فرأيته رجلاً يبين الإيمان على وجهه، ويظهر التدين على محياه وتصرفاته، اعتذر أولاً بأنه مريض وإلا لكان حضر إليّ في الفندق.

فشكرته على ذلك وقلت له: إن المهم عندي هو اللقاء به والحديث معه عن شؤون إخواننا المسلمين الكمبوديين في هذه المدينة.

المسلمون الكمبوديون في لاوس:

خلاصة ماجاء في الحديث الذي دار بيننا وبين الأخ موسى ابن أبوبكر رئيس المسلمين الكمبوديين أن المسلمين الكمبوديين الموجودين في فنتيان عاصمة لاوس جاءوا إليها فيما بين ٥٠ سنة وأربعين سنة مضت وأنهم ٤٥ أسرة يؤلف أفرادها (٣٠٠) شخص تقريباً وكلهم منضمون في جمعية المسلمين الكمبوديين وهي غير الجمعية الإسلامية التي يؤلف الهنود عمادها ولا علاقة لها بها من ناحية الإدارة، بل تبين ان الهنود المسلمين لايعرفون كثيراً من أحوال إخوانهم المسلمين الكمبوديين الذين يوجدون معهم في العاصمة ذلك لكونهم لايسكنون معهم في الأحياء التي يسكنونها مع العلم بأنه لاتوجد أحياء خاصة بالمسلمين خالصة لهم لا بالنسبة لمسلمي الهند ولالمسلمي كمبوديا.

وذكر الأخ موسى بن أبوبكر أن هناك خمسة مسلمين من اللاووسيين الأصلاء، وانهم يحضرون معهم في المسجد وهذا أمر سار ويبشر بالخير، إذ بوساطة هؤلاء الأخوة المسلمين من لاوس يمكن دعوة غيرهم من أهل لاوس إلى الدخول في الإسلام.

وقد أجمع الذين تحدثنا إليهم من المسلمين سواء أكانوا من أهل الهند في الأصل أم من أهل كمبوديا أن الفرصة سانحة لدعوة اللاوسيين للإسلام، وأن الاستجابة مؤكدة ولكن المشكل كما يقولون هو في وجود الداعية المخلص الذي يملك الأداة التي يستطيع أن يوصل إليهم بها المعلومات عن الإسلام وهي اللغة ثم مواصلة رعايتهم بالتعليم والإرشاد بعد إسلامهم.

وأجمعوا أيضاً على أنه يمكن إذا حضر إليهم داعية مخلص من مسلمي تايلند أن يقوم بذلك لقرب لغتهم من لغة تايلند بحيث يتفاهمون فيما بينهم.

وقد أخبروني جميعاً أن الذي يمنعهم من استقدام داعية ومرشد من تايلند إنما هو ضيق ذات اليد، وقصور النفقة التي يملكونها عن ذلك.

وقد قيدت في مذكرتي امر ارسال مدرسين اثنين احدهما لهؤلاء الأخوة الكمبوديين والثاني للمسلمين الهنود لأنهم ذكروا لي ان المدرسة الموجودة اسفل جامع فنتيان معطلة رغم وجود المقاعد والأثاث بسبب عدم وجود المدرس العالم المتفرغ.

وبالنسبة للكمبوديين ذكر الأخ موسى أن الامام (يعقوب بن يوسف) الذي ذكر اسمه في المسجد لايدرس الناس وان المدرسة لا تنتظم الدراسة فيها رغم انها مجهزة بما يلزم، وان عدد الطلاب الذين التحقوا بها هو (٣٠) طالباً.

وقال: الامام (يعقوب بن يوسف) مشغول بدنياه، يريد بتحصيل عيشه لأنه لا يتلقى أية معونة من القائمين على المسجد ولا على المدرسة.

وحدثنا الأخ موسى عن بناء المسجد قال: لم نتلق أية مساعدة خارجية ولا داخلية من خارج جماعتنا المسلمين الكمبوديين الذين يعتبرون من الفقراء وبدأنا نجمع الأموال منهم شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً بقدر استطاعتهم، ثم تقدمنا إلى الحكومة بطلب الاذن لنا ببناء المدرسة، لم نذكر بناء المسجد في طلبنا لأنهم لن يوافقوا على ذلك واستعنا لدى الحكومة بأخينا (هارون خان) هذا الذي ساعدنا عند الحكومة حتى أذنت لنا ببناء المدرسة، فبنينا المسجد والمدرسة ولم يعرف بذلك أحد من خارج جماعتنا.

فقلت : هذا صحيح لأن الأخ هارون خان لم يخبرني أن هناك مسجداً آخر في فنتيان وإنما ذكر لي أن هناك مدرسة للكمبوديين المسلمين.

ومن الغريب أنهم رغم حاجتهم للمساعدة المالية لم يكتبوا إلى أحد من إخوانهم المسلمين في خارج لاوس حتى ولا لأهل كمبوديا ولاشك في أنهم لو كتبوا لنا في رابطة العالم الإسلامي لكنا أرسلنا لهم مساعدة مجزية ولكنا خصصنا لهم إماما ندفع راتبه أو خصصنا لهم مبلغاً ثابتاً من المال ينفقون منه على راتب الامام والمدرس كما هي عادتنا في مثل حالتهم لأنهم من الأخوة المسلمين المحتاجين الذين لاتساعدهم حكومة البلاد، بل إن مجرد كف الأذى عنهم في هذا البلد الشيوعية يعتبر أمراً جيداً.

ولقد أعجبني ماذكروه عن صبرهم ومصابرتهم وجمعهم للنفقة على بناء المسجد والمدرسة، هذا البناء الجيد النظيف حتى إن المسؤولين عن الحكومة عند مارأوا فصول المدرسة وأثاثها أعجبهم ذلك ورأوا انه مطابق للشروط اللازمة للمدارس الابتدائية.

وقد وعدت الأخ موسى ومعه إثنان من الأخوة المسلمين الكمبوديين كانا حاضرين ان يحضر هو وأمين الصندوق في جمعيتهم ونائب الرئيس أو إمام المسجد إن وجد أو المؤذن لكي أدفع لهم مبلغاً عاجلاً من المال بالدولار يساعدهم على تسيير أمور المسجد والمدرسة وإن كان لا يسد حاجتهم، ولكنني سوف أرسل لهم من الرابطة مبلغاً مجزياً إن شاء الله عندما أصل إلى مكة المكرمة.

وطلبت منهم أن يحضروا إلى مكتب الجمعية الإسلامية- الهندية- في جامع فنتيان الليلة بعد المغرب من أجل أن يتسلموا ذلك لأن المسجد قريب من فندقي وقد اعتزمت على أن أؤدي الصلاة فيه.

هذا وقد حضروا بالفعل بعد المغرب وكان معهم نائب رئيس الجمعية الأخ اسماعيل نونغ سافانغ واعطيتهم المبلغ المذكور كما دفعت للجمعية الإسلامية الهندية ووصفها بالهندية هو من واقع حالها وإلا فإنه ليس مذكوراً في اسمها في أوراقها الرسمية وهم لا يقولون عن أنفسهم ذلك.

وقبل أن نودع الأخ موسى بن أبوبكر التقطنا معه صورة تذكارية في حانوته الذي ليس فيه من البضاعة إلا ماكان حديداً أو له علاقة بالحديد كالاقفال والقضبان والسلاسل والفؤوس والمناجل ونحوها. وكذلك الحوانيت التي بجانبه كل مافيها حديد أو متعلق بالحديد.

وهذه عادة رأيتها متبعة في فيتنام وبخاصة في العاصمة (هانوي) إذ رأيتهم في وسط المدينة القديم يجمعون باعة البضائع المتشابهة أو المتماثلة في مكان واحد فالحوانيت التي تبيع الأثاث الخشبي أو كل ما هو خشبي هي صف بعضها مع بعض وكذلك باعة

قدور المعدن وأوانيه كلهم يكونون في مكان واحد بعضهم إلى جانب بعض.

الاعتذار عن الجولة في المناطق البعيدة :

حضر إليّ في العاشرة مساء الأخ هارون خان ومعه الامام قمر الدين، وجلسنا في الفندق جلسة موسعة كان من بين ماذكره لي الأخ هارون الاعتذار عن جولة في المناطق البعيدة من لاوس التي منها زيارة بعض القرى البعيدة والاطلاع على سد قد حجز خلفه بحيرة مشهورة يذهب إليها أهل البلاد للتنزه والاستمتاع.

وقال الأخ هارون : إن الأجنبي مثلكم وبخاصة إذا كان يحمل جوازاً (دبلوماسياً) يحتاج ذهابه خارج العاصمة إلى إذن خاص من الحكومة وذلك لا يكون إلا على مستوى عالٍ مما يتطلب وقتاً وربما لاينتهي قبل أن يحين موعد سفركم هذا إذا تمت الموافقة على الجولة لاسيما وأنت تحمل مصورتك وتريد أن تصور ماتراه. والمكان الوحيد المسموح بتصويره هو داخل العاصمة. وإنما سنحاول غداً الذهاب بسيارتنا إلى الريف القريب.

فقلت له ماقال الشاعر القديم:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ماتستطيع

وظننت انه اتصل بالمسؤولين وأنهم اعتذروا له عن ذلك. لأن له صلة بكثير منهم.

وذكرني هذا بما قاله لي الأخوة الفيتناميون عندما طلبت الذهاب خارج مدينة (هوشي منه) أي سايغون قديماً لزيارة قرى المسلمين

والإطلاع على المساجد فيها فقد قالوا إن الحكومة تحرم ذلك على الأجانب، ولابد من الحصول على إذن منها قبل الذهاب، وذلك يستغرق وقتاً وسؤالاً وجواباً وقد لا تكون الاستجابة مضمونة بعده.

يوم السبت ١ / ٦ / ١٤١٢هـ - ٧ / ١٢ / ١٩٩١م :

من النافـذة :

تطل نافذتي من الجهة الجنوبية على منازل المواطنين الذين يظهر من هيئاتهم أنهم من المتعلمين إن لم نقل من علية القوم ومع ذلك فإن بيوتهم وأثاثها الذي يرى من نافذة الفندق ليس بذاك فالبيوت كلها وماجاورها من الخشب حتى درجها من الخشب الرث غير المصبوغ ونوافذها كلها من خشب لم يرمم منذ دهر حتى صار بالياً أو كالبالي من طول اللبث بلا عناية من صباغ أو ترميم أو نحو ذلك. وأما السقوف فإنها من الآجر الذي تبدد أكثره حتى تخرق بعض السقف أو أجنحته فوق البيوت ولم يرمم.

مع أن السكان الذين في هذه البلاد ثيابهم نظيفة ولهم دراجات مابين بخارية وهوائية يوقفونها عند هذه البيوت ورأيت مع بعضهم من رجال ونساء كتباً يقرأونها.

وترفرف على هذه البيوت أشجار باسقة مثل النارجيل ذي الأفنان العالية ومع ذلك هي وارفة الظلال وأشجار كبيرة أخرى من أشجار الظل وموز أخضر قصير وباباي نحيل القوام، ومع ذلك فهو كثير الثمار.



[التقط المؤلف هذه الصورة لقسم واسع من مدينة فنتيان من نافذة الفندق]

وقد استرعى انتباهي ارتفاع أشجار النارجيل سواء ماكان منه هناك وماحول المسجد الذي يرتفع النارجيل حوله فوق قبته مع أنها عالية وعرفت أن سبب ذلك يعود إلى أن البلاد لاتشهد أعاصير وعواصف عالية وإلا لم تترك هذه الأشجار النارجيلية ذات القوام النحيل والفروع الكثة بل الثقيلة حتى تكسرها أو تهصرها.

ويدل وجود النارجيل مع الموز والباباي في بلد على أنه استوائي أو قريب من الاستوائي ولابد مع ذلك أن يكون ذا جو ندي مطير وإلا لما ازدهرت هذه الأشجار فهذه هي طبيعتها أن تزدهر في مثل هذه الجواء.

في سوق الصباح :

كنت قد ذهبت أمس إلى (سوق المساء) لمقابلة الأخ (موسى ابن أبوبكر) رئيس المسلمين الكمبوديين في متجره، واليوم ذهبت إلى سوق الصباح لمقابلة الأخ (هارون خان) في متجره ولكن في سوق الصباح، وبين السوقين فرق في المكان والسكان.

فسوق الصباح أقدم عهداً من سوق المساء والبضائع فيه أثمن والتجار فيه أكثر ثروة ويكفي دليلاً على ذلك ان الأخ (هارون خان) هو رئيس التجار ومنهم صينيون أثرياء أو مشهورون بثرائهم وإن كان الثراء في البلدان الشيوعية ليس مما يزكي المرء عند حكامه، فإنهم لايستطيعون الاستغناء عنه إلا إذا كابروا ولم تهمهم مصلحة بلادهم.

ذهبت سيراً على الأقدام مع الأخ الامام قمر الدين إلى (سوق الصباح) مع كونه بعيداً نوعاً ما عن الفندق ولكن من أجل رؤية الشوارع والمنطقة في النهار وقد علقت مصورتي بيدي، فكان مما صورته معبد بوذي غريب لم ندخله أمس.

وفي داخله تلقاء الحوائط الداخلية عدة قبور للأثرياء والشخصيات المهمة قد جعلوها على هيئة محاريب واقفة فكأنها على ميت واقف مع أنها ليست قبوراً لأموات نائمين ولا قاعدين وأنما هي على رماد بعض الأموات فالقوم هنا رغم كونهم بوذيون لايوجد بينهم هندوكي واحد فإنهم يحرقون موتاهم ثم يأخذون ماتبقى من رماد الجثة فيضعونه في قارورة أو نحوها غالباً ماتكون من الفخار

فيضعونه في هذا المكان ويبنون عليه هذا القبر الواقف كالخزانة المربعة غير الواسعة وقد كتبوا عليه اسمه وتاريخ ولادته ووفاته وأحياناً يكتبون عليه بعض سيرته إذا كان شخصاً مهما أو كان قد تبرع لهذا المعبد أو تبرع ذووه بمبالغ مجزية.

وذكروا أن فخامة هذا القبر الواقف تكون بمقدار مايتبرع به صاحبه للمعبد، وبمقدار مايكون له من مال يخصصه في حياته أو يخصصه ورثته لإقامة هذا القبر.

ويكون طلاؤه ملوناً بلون فاقع وأكثر الألوان فيها هو الأصفر والذهبي واللون الأصفر والذهبي هما اللونان الغالبان على كل ماله علاقة بالديانة البوذية حتى الملابس الرسمية لرجال الدين البوذي تكون صفراء أو ذهبية.

وصورت بعض الذين كانوا يهمون بدخول المعبد وهم بتلك الملابس الرسمية.

ومن الطريف أننا التقينا في هذه الساعة المبكرة براهب صغير فكلمته فوجدته يعرف شيئاً من الانكليزية تعلمه في المدرسة الدينية ولما سألته لماذا لم تذهب مع اخوانك الشبان من الرهبان لجمع الارز من المنازل كما يفعلون؛ أجاب: لقد فعلت ذلك ولكننا نذهب لجمع الأرز من المنازل مبكرين وقد فرغنا من ذلك في السادسة، مع العلم بأن الشمس تشرق قبل السادسة بقليل.

وذكر أن جميع أهل البيوت يعطونهم من الأرز في العادة ولكنهم لايكثرون من ذلك وإنما يعطيهم أهل البيت حفنة واحدة- وأشار بيده كالذي يملأها من شئ يكال كيلا في العادة.

قال، ولكن القليل من الكثير كثير، ونحن نجمع مايكفي لأهل المعبد وبخاصة من التلاميذ الذين ليست لهم رواتب تكفي لاطعامهم.

سبب التسمية :

سألت عن السبب في تسمية هذا السوق بسوق الصباح، وتسمية السوق الذي كنا فيه أمس في المساء بسوق المساء فذكروا أن الحكومة في السابق كانت تسمح بفتح سوق الصباح في وقت الصباح فقط، ويفتح سوق المساء في وقت المساء دون الصباح.

وهذا كان في القديم أما الآن بعد أن كثر سكان المدينة واتسعت نواحيها ودعت حاجة الناس إلى التسوق من السوقين طول اليوم سمح لهما بذلك.

ثم وصلنا متجر الرئيس وهو رئيس الجمعية الإسلامية في السوق فوجدنا متجراً واسعاً حافلاً بالأقمشة الغالية الكثيرة ومنها أصواف ثمينة ذكر أن أكثرها مصنوع في تايلند ومستوردة منها وذلك لقوة العلاقات مابين هذه البلاد وتايلند المجاورة التي لايفصل بينها وبين لاووس، إلا نهر الميكونغ كما سبق.

على أن في متجره أقمشة واصوافاً غالية منها ماهو مستورد من انكلترا ووجدنا في متجره ابنين له يعملان في المتجر يساعدانه على ومع ذلك كان مشغولاً بالبيع والشراء والأخذ والعطاء فسررت بذلك ودعوت له برواج التجارة والربح دون الخسارة.

جولة في لاوس :

والجولة هذه المرة مع رئيس الجمعية الأخ هارون خان وبسيارة له لم يكن معنا فيها إلا الشيخ قمر الدين الذي لا غنى عنه للترجمة مابيني وبين الرئيس الذي يعرف ثلاث لغات لا أعرفها.

مما ذكرني بقصة حدثت لي مع أخ كريم ولكنه من أهل الهند وليس من أهل باكستان ونحن نعرف جميعاً أن أهل الهند وباكستان كانوا يتقاسمون العيش في بلد واحد، ولذلك كانت تجمعهم إذا كانوا مسلمين خصائص واحدة مالبثت أن تفرقت بهم الأمور وبعد بعضهم عن الآخر في المكان ثم في مستوى المعيشة فارتفع مستوى معيشة الباكستانيين وظل مستوى المعيشة لدى المسلمين من أهل الهند على ماكان عليه أو اقل من ذلك، حتى قرب أهل باكستان من أن يكونوا كالايرانيين أو الأفغانيين، وبقي المسلمون في الهند كما كانوا في القديم هنوداً مسلمين لهم طباع أهل الهند المتميزة.

كان الأخ الذي تذكرته لمناسبة اللغات الثلاثة التي يعرفها رئيس الجمعية الإسلامية هنا الأخ هارون خان ومع ذلك لم استطع التفاهم معه ألا بمترجم وذلك عندما زرت مدينة (أحمد آباد) عاصمة ولاية كجرات في الهند وهي ولاية مشهورة في الهند قبل تقسيم القارة بأن أهلها من مسلمين وهنادكة هم من رجال المال والأعمال الناجحين أكثر من أهل الولايات الأخرى في الهند وبخاصة المسلمين منهم. واشتهرت بعد تقسيم الهند بكثرة الاضطرابات والمذابح التي تحدث فيها بين المسلمين والهنادك وذلك لكون طائفة من مسلمي أهلها قد

هاجروا إلى باكستان مدفوعين بكونهم كانوا حكام هذه الولاية منذ قرون وكانت لهم اليد الطولى على أهلها الهنادك فقل عددهم، وصارت الغلبة للهنادك عليهم الذين أرادوا أي يثبتوا ذلك لهم، بل ربما أراد بعضهم أن ينتقموا من المسلمين المهاجرين من حكم حكام المسلمين الأقدمين للولاية.

وعلى أية حال فإن هذا الأمر أي أسباب الاضطرابات الطائفية في الهند ليس من مقصودنا هنا أن نبين رأينا فيه، وإنما نقول: إنني عندما كنت أهم بالسفر بالطائرة من بومبيء، إلى أحمد آباد طلبت من صديقي الشيخ مختار أحمد الندوي أن يرشدني إلى شخص يعتمد عليه هناك في (أحمد آباد) لأنني لم أكن أعرف أحداً فيها. وذلك من أجل أن يساعدني على ما أريد الوصول إليه من معرفة أحوال المسلمين والإطلاع على مؤسساتهم ومشروعاتهم التي تحتاج إلى مساعدة فذكر اسم الأخ (ميرزا قرار بيك) وذكر أنه الأمين العام لجمعية أهل الحديث في ولاية كجرات.

ولما قابلت الأخ (ميرزا قراربيك) وهذا الاسم الثلاثي هو اسمه الشخصي فقط وليس اسم والده أو اسرته وجدته لايعرف العربية ولا الانكليزية ولما أبديت أسفي لعدم التفاهم معه قال: أنا أعرف ثلاث لغات هي الأوردية والهندية والكجراتية ولكن لاتعرف اللغات الهندية فقلت: هذا صحيح وصحيح أيضاً انك لاتعرف اللغات العالمية.

ماء النارَجيل :

انطلقنا بسيارة الرئيس مبتدئين الجولة في العاشرة والنصف فمررنا بسوق شعبي كل الباعة فيه من النساء وأكثر مافيه الخضروات والفواكه المحلية ومنها نارجيل كبير الحجم، كثير الماء وأنا أحبه وبخاصة في البلاد التي يضع أهلها الفلفل مع طعامهم لأنه خيل إليّ من التجربة أنه نافع لمقاومة حرارة الفلفل في البطن، ومن الناحية الطبية العلمية فإنه مدر للبول ونافع لتنقية الكلى.

وقد اشترينا من نسوة فيه أشياء صغيرة من أجل التعرف عليها ولاحظت أن عليهن قبعات عريضة مثل أكثر النساء في البلدان الاستوائية إذا كن من الريفيات اللاتي يتعرضن للشمس في العادة.

قوس النصر :

هذه التسمية من عندي لمبنى رمزي فخم منظره على البعد يشبه منظر قوس النصر في باريس، وإلا فإن القوم الذين معي لم يعرفوا معنى اسمه وان كانوا ذكروه لي وهو (سودلي) أو هم لم يعرفوا معنى (سودلي) بالضبط، وإنما ذكروا انه أقيم تخليداً لأرواح الذين قدموا أرواحهم من الوطنيين اللاوسيين عند تحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي.

وهو أشبه بالقبة العالية التي لها أربعة أبواب في كل جهة من الجهات الأربع معقودة بعقود مرتفعة وهذا هو مايظهر من أمره ومايبدو عليه في الخارج ولكنه من الداخل مختلف فهو واسع، فيه



[المؤلف فوق (قوس النصر) اللاووسي]

درج داخلي صعدنا معه إلى طابق ثانٍ ثم من الطابق الثاني إلى الثالث مع درج ليس بسهل. ومن الثالث الذين أكثره سطح صعدنا مع درج إلى القمة.

ومن هذه القمة يمكن مشاهدة مدينة (فينتيان) والتقاط صور لأهم الشوارع الرئيسيةِ القريبة التي تصب فيه أي تنتهي إلى الميدان الصغير الذي يقع حوله.

وقد استمتعت بمشاهدته وبحثت عن أية مطبوعة أو ورقة تبين شيئاً من أمره فلم أجد وطلبت من الأخوة المرافقين أن يسألوا من يجدونه من أهل البلاد عن ذلك فلم يجدوا إلا امرأة تبيع أشياء من التذكارات الصغيرة في أسفله لم تعرف عنه شيئاً.

وهذا غريب لأن المفروض أن يكون فيه وهو موقع سياحي مهم دليل يدل الناس على مافيه ويوضح لهم مايسألونه عنه وعما يرونه من المدينة عندما يصعدون إليه.

بل ربما صح القول إن هذا المكان وأمثاله ممكن أن تباع فيه الكتب الصغيرة التي تتعلق بتاريخ المدينة كلها أو الشعب كله.

هذا مع العلم بأننا وجدناه مزدحماً بالسائحين الذين أكثرهم من اليابانيين وأقلهم من الأوروبيين أو ذوي الأصول الأوروبية وأوسطهم في العدد من التايلنديين وهم يتفرجون ويصورون وليس معهم أي مرشد أودليل.

أهم معبد :

وهذا هو المعبد الضخم الذي صار متحفاً وحاولنا أن ندخله عصر أمس ولكن كان مغلقاً. ويسمونه (تاء لونغ) أهم من رأيناه حوله هم سياح تايلنديون ربما كان ذلك من أجل اشتراكهم في الديانة البوذية وربما كان مذهبهم فيها مطابقاً لمذهبهم لقرب البلدين أحدهما من الآخر.

أمامه باحة مكشوفة لا عناية فيها وإنما فيها أشجار خضر من أشجار التمر الهندي المعمرة ولم أر مثلها في الأشجار الضخمة من (تمر الهند) في الهند نفسها التي تكثر في جنوبها أشجار التمر الهندي وهي التي يجلب منها التمرالهندي إلى بلادنا وكنا نستهلك منه كثيراً في الماضي، لأننا نتخذه للمرق ونضعه فوق الجريش وكان الجريش هو الطعام الرئيسي الذي يقدم في المآدب الكبيرة في بلادنا قبل أن يعرف الناس تقديم الأرز فيها.

دخلنا مع بوابة ضخمة معتنى بها بالنقش والتجميل، وهي من الخشب المزين برقائق بلون الذهب ربما كانت من الصفر المصقول.

وفي الداخل هناك تمثال كبير لبوذا من الذهب هكذا قال الدليل فقلت له : أهو من الذهب الخالص؟ أم هو مموه بالذهب؟ فقال: إنه من الذهب وذلك أمر ظاهر فيه.

ولم نر فيه مايستحق الذكر غير ذلك لأنه فيه غرفاً داخلية مغلقة قال موظف فيه صار دليلاً لنا: إن فيها أشياء تستحق أن ترى ولكنها

الآن مغلقة، لأن الموظف الذي معه مفاتيحها غائب.

والعادة التي رأيناها في معابدهم التي يجلونها ويحترمونها، ويبالغون في أهميتها أن معظم مقتنياتها تدور حول تماثيل بوذا وأواني الفخار التي يجمع فيها الأرز وماأشبه ذلك.

تركنا (تاء لونغ) من دون أن نعرف معنى أسمه، ولم نعجب برسمه إلى ضاحية حديثة في خارج المدينة ذكر الأخ هارون أنها مساكن الدبلوماسيين وأكابر القوم من الوطنيين، وقد سبق أن ذكرت انه لاتوجد لديهم أية سفارة عربية غير سفارة فلسطين، ولاتوجد سفارة لدولة إسلامية إلا سفارتا إندونيسيا وماليزيا.

ورأينا في هذه الضاحية سيارات جيدة المظهر مابين فرنسية ويابانية وهي سرب متجه إلى اتجاه واحد ذكروا أنهم ذاهبون إلى مقابلة رئيس البلاد واسمه (تام تاي) وانه قد تسلم الرئاسة قبل ٣ أشهر فقط، وهو جنرال في الجيش شيوعي الاتجاه وبيته خارج العاصمة. ذكروا أنهم ذاهبون إليه لكون اليوم هو يوم السبت.

ريف لاوس:

غادرنا مدينة فنتيان وما اتصل بها من ضاحية ووقعنا في ريف لاوسي ردئ تتألف المناظر فيه من أعشاب مهملة ومستنقعات متعددة، عرفنا أن هذه المستنقعات أو المناقع قد تخلفت من مياه الأمطار أثناء موسم الأمطار الفائت.

ولا أدري الذي جعلني اعتبر اصطلاح مستنقعات للمياه التي

يطول مكثها في الأرض و(منافع) للمياه التي تتخلف من مياه الأمطار، ومن مياه سارية، ولكنها لايطول مكثها في الأرض مع العلم بأن معنى الكلمتين في الأصل واحد، إلا أن تكون السين قد جعلت للشيء الملازم لذلك الوصف أو الذي يلازمه الوصف.

رأيت نسوة من الريفيات فطلبت أن نقف عندهن وهن على غاية من القشف والخشونة وسوء المظهر فسألناهن عما يزرعه الناس هنا؛ فأجبن أنهم يزرعون الأرز مادامت المناقع في الأرض فإذا جفت بعده زرعوا القمح. ولا أدري صحة ذلك.

أما أكثر الأشجار وضوحاً في هذا الريف فإنها أشجار النارجيل النحيلة، وقد اثقلتها أحمالها من (جوز الهند) وهي ثمارها الذي منه ماء يشرب ودهن يؤتدم به، وليف يستعمل للوقود ولصنع الحبال ولهم فيه مآرب أخرى مثلما كان لأهل النخلة عندنا من مآرب أخرى في كل جزء من أجزائها.

وفي هذه البلاد البوذية يدخل سعف النارجيل وأجزاء منها في الأمور الدينية وفي تجهيز الأموات خاصة.

ورأينا بيوتاً متفرقة متباعدة في هذا الريف وهي نظيفة حسنة المظهر، فقال الأخ هارون: إن هذا كله جديد لم تمض عليه سنتان، وقبل ذلك في زمن التشدد الشيوعي لم تكن توجد في الريف أمثال هذه البيوت النظيفة لأنه لايستطيع أحد آنذاك أن يبنيها إلا الحكومة وهي لا تفعل ولا تأذن للناس أن يبنوا، وبعد زوال التشدد الشيوعي وبدء عهد الاسترخاء أو التراخي فيه نتيجة لما أصاب الشيوعية في أوروبا والاتحاد السوفيتي من نكسات، ونتيجة لما وجد الشيوعيون

أنفسهم فيه من ضيق اقتصادي وتخلف حضاري بدأوا يخففون من قبضتهم على البلاد، وإن كانوا لايزالون هم الحاكمين فيها، وقد وقفت لتصوير أحد البيوت الريفية المرفوع عن الأرض بالخشب اتقاء للرطوبة وتأملت ببعض ماكنت أحسبه أعشاباً خالصة في الأرض فوجدتها مختلطة ببقايا أرز كان قد زرع وحصد وبقيت منه بقايا كالأعشاب.

الدكان عشة :

أمعنا في الريف ذهابا وابتعاداً عن المدينة رغم عدم الاذن لنا بذلك، بل انني وجدتهم كتبوا في ورقة أعطاني إياها ضابط الجوازات في المطار أنه لايجوز أن أغادر منطقة العاصمة إلا بإذن خاص ولم أكن فطنت لها من قبل. ولكن الأخ هارون خان قال: إنني أعرف كبار الموظفين ولن يكون إلا خير إن شاء الله.

وكان مما استرعى انتباهي حانوت وهو- الدكان- على هيئة عشة أي كالخيمة الصغيرة من القش ذات شكل هرمي، وقد أقيمت على الطريق.

وأهم مارأيته يباع فيها الموز وهو كثير في المنطقة، بل إن أشجاره تجاور هذا (الدكان).

وأما الحيوان الذي يرى في الطريق فهو الجاموس وبقر قليل.

ولم أر غنماً هنا لاماعزاً ولا ضأناً، وقال لي المرافقون: إن الناس هنا لايعرفون الغنم ولايتخذونها، ولايأكلون لحومها. هذه عادة لهم قديمة.

وأذكر أنني سمعت مثل ذلك عن الفيتناميين من موظفي السفارات الإسلامية حيث ذكروا ان الفيتناميين في شمال فيتنام لايعرفون الضأن من الغنم، ولم يتعودوا على أكل لحومها، وإنما اللحم الرئيسي عندهم هو الخنزير ونوع من الكلاب يربونه للحم، ويبيعون لحمه في السوق بأغلى سعر يباع به اللحم فهو أغلى من لحم الخنزير عندهم وهو أغلى من لحم البقر الذي هو قليل في فيتنام، وأغلى من السمك بكثير مع العلم بأن أهل فيتنام يأكلون الأسماك كثيراً لوفرتها في أنهارهم وشواطئهم وحتى في البرك المائية والمستنقعات الموجودة عندهم.

وفي هذه البلاد ذكر لي الأخ هارون أن الناس يعتمدون على السمك أكثر من غيره من اللحم.

والطريق واسع ذو زفلته جيدة. ورأينا في موقف متسع للسيارات فيه سيارات من سيارات الشحن الكبيرة ذكروا أنها ذاهبة إلى فيتنام وأن عامة الناس يركبون على ظهور هذه السيارات الكبيرة لأنه لايتيسر لهم الركوب على حافلات ولا على سيارات ركوب صغيرة.

المحرقة الآدمية:

تركنا الطريق الأزفلتية الرئيسية وعطفنا يساراً مع طريق ترابية مغبرة فدخلنا في غابة مشتبكة الأشجار وإن لم تصل إلى حد الاظلام فرأينا بيتاً مرفوعاً عن الأرض بخشب إلى جانبه قبور عديدة من قبورهم الواقفة التقليدية التي هي قبور على بقايا الرماد المتخلف عن إحراق موتاهم.

ومن الملاحظ أن أمواتهم قسمان الأكثرية منهم يحرقونهم ويذهب رمادهم هباء أو يدفن بشكل جماعي من دون قبور واقفة وقسم وهو الأقل توضع له هذه القبور التي هي في الحقيقة قبور لما يتخلف من رماد بعد حرق الأجساد ويكون مختلطاً برماد الحطب الذي تحرق به الجثة.



[مبنى خشبي مهمل بجانب المحرقة الآدمية]

ولم أجد هنا من يخبرني عن السبب الذي يحدو بهؤلاء البوذيين إلى حرق موتاهم، وإنما كنت عرفت السبب في أن الهنادك في الهند وغيرها يحرقون موتاهم لزعم لديهم يؤمنون به وهو أن في احراق الجسد الذي يكون في العادة قد قارب الخطايا والآثام مايخلص الروح من قيوده فتصبح طليقة لايقيدها جسد إذا أرادت أن تعود مرة ثانية إلى جسد طيب آخر في هذه الدنيا.

وهذا مبني على إيمانهم بتناسخ الأرواح وبأن الروح يمكن أن تحل في جسد بعد جسد إلى يوم القيامة ويزعمون أن الشخص الذي عمل صالحاً تعود روحه إلى جسد إنسان طيب، وان الشرير على عكس ذلك ربما تعود روحه في جسد حيوان.

وسمعت زعماً طريفاً لهم- إن كان في الموت طريف- وهو ان إحراق جسد الميت يعفيه من تحمل إثم الدود الذي يتغذى على جسده ثم يموت إذا يبس جسده.

وهذا بلاشك إما أن يكون أخرج مخرج النكتة، أو مخرج السذاجة.

وهذا كله بالنسبة إلى الهندوكية واعتقادهم في سبب إحراق الميت في النار، وإن كانت هناك وقائع تدل على أن بعض عقلائهم يفعل مايفعله مدفوعاً بالتقاليد وليس إيماناً به.

وذكرت هنا ما أخبرني به جماعة من الأخوة المسلمين أهل مدينة بنارس في الهند التي هي مدينة مقدسة عند الهندوكيين ويسمونها (هولي ستي) بهذا المعنى وهو أن شخصاً هندوكياً متعلماً أظنهم قالوا: إنه يحمل شهادة الدكتوراة دخل في الإسلام فلما سئل عن سبب إسلامه أجاب أن أمه توفيت فذهب بجثتها إلى نهر الكنج ليحرقها هناك، ويذر رمادها في نهر الكنج المقدس عندهم الذي يسمونه (قانقا) قالوا: فلما نشبت النار في جثتها أكلت ثوبها الذي كان عليها قبل جسدها فبرزت له عورتها فتقزز من ذلك وعرف أنه دين باطل، وأن دين الإسلام الذي يستر الميت بدفنه في الأرض هو الدين الصحيح فأسلم وحسن إسلامه.

وبهذه المناسبة نقول: إن الذي عرفناه من حال الذين يسلمون في الهند أن أكثرهم من المثقفين ومن المتعلمين تعليماً عالياً فهم يسلمون أكثر مما يسلم عامة الناس لأنهم يدرسون الإسلام والهندوكية ويقارنون بينهما في أفكارهم فتكون النتيجة في صالح الإسلام.

ومن أراد أن يطلع على ما شاهدته من كيفية إحراق الهنادك لجثث موتاهم ورمي رمادهم في نهر الكنج (قانقا) فإنه يمكنه أن يرجع إلى كتابي (في شمال شرق الهند) من سلسلة الكتب التي ألفتها عن سائر أنحاء الهند.

ونعود إلى مارأيناه هذا اليوم في المحرقة الآدمية وذلك أنني اقتربت من المحرقة وابتعد عنها رفيقاي ولما طلبت من أحدهما أن يقترب منها ليلتقط لي صورة معها عن قرب أسرع يبتعد ويقول: إنه خائف ولا أدري مم يخاف مع أنه ليس فيها إلا رماد الموتى، وظني أنهم ربما سمعوا أشياء من اعتقاد أهل البلاد من الكفار في مثل هذا المكان أو أنه لمجرد الرهبة من الموت.

والمحرقة تشبه على البعد محرقة الجص أو الآجر على الطريقة القديمة فهي بناء من الأسمنت أو من الآجر، لا أدري لأن سواد الرماد ولونه قد غطى على لونها الحقيقي وهي ترتفع عن الأرض بمقدار قامة الرجل ، أو أعلى من ذلك بقليل ولها درج يصعد عليه إلى ظهرها.

وعادتهم أن يأتوا بالميت فيضعونه في أعلاها ثم يوقدون تحته بحطب يجمعونه ويجعلونه في مكان كالطابق الأرضي تحت الجثة وهو مفتوح من جهتين من أجل أن تلهب الريح الحطب والميت فوق

مايشبه القضيب من الحديد أو الخشب لا أدري فيحترق وهو موضوع بين السماء في سطح هذا المبنى وبين الأرض التي يوضع عليها الحطب.

وقد رأيت بعض الرماد المتخلف عن الحرق لاشك في أن جزءاً منه من رماد الأجساد وجزءاً منه من رماد الحطب.

وفي هذا المكان الموحش نصبوا تمثالاً كبيراً لبوذا متربعاً قد ظللوه بما يشبه المظلة من حديد صدئ. كأنما ليؤنس وحشة هذه الأجساد التي أصبحت رماداً أوأرواحها التي ترفرف حولها كما كان يزعم كفار العرب في الجاهلية الذين يدفنون موتاهم في الأرض ويزعمون أن روح الميت ترفرف على قبره في هيئة طائر إما أن يكون حمامة أو يكون بومة.

سمك الغدير :

تركنا هذا المكان الموحش الذي تذرو الريح فيه رماد الأجساد أو ربما كان ماحوله قد جلله الرماد المتخلف من حرق الأجساد إلى مسافات خارجة عن المحرقة الآدمية وربما كان هذا هو السبب الذي حمل رفيقي على الابتعاد عن منطقة الرماد، كأنما خافا ان تبعث الأجساد الآن من هذا الرماد فتأخذ بتلابيب زوار المكان.

وانتقلنا بالسيارة راجعين إلى جهة الخط الاسفلتى العام فوصلنا إلى مكان غسل ما في أذهاننا عن رماد الأجساد، وعن هذه المنطقة التي تحفل كلها بما يمت إلى الموت بصلة وليس فيها من علامات الحياة

شيء. وذلك أننا شاهدنا غديراً من غدران عدة قد تخلفت من مياه الأمطار التي هطلت في موسم المطر وفيها عدد من النساء الوطنيات وإن شئت قلت: إنهن من العاملات الكادحات ومارأيت في العالم أشد كدحاً من نساء البوذيين من الجنس الأصفر الذي يأتي في مقدمته هؤلاء الهنود الصينيون- إن صح التعبير- كما يأتي معهم في المقدمة التايلنديون الصفر المجاورون لهم في البلاد والاعتقاد.

ومع كل واحدة من النساء وعاء مخرق كالسطل وهو الإناء الذي يعلقه الإنسان بيده يحمل به المائعات كالماء واللبن في العادة.

ولكن الإناء هذا لا يمكن أن يمسك شيئاً حتى الماء وذلك أنه لا قاع له فأسفله مثل اعلاه فارغ ومهمته أن العاملة منهن إذا رأت سمكة من سمك هذا الغدير أو مجموعة أسماك منها القت به عليها فيتسرب الماء من الخروق التي في جوانب الاناء ويبقى السمك محصوراً فيه لأنه مثبت بقاع الغدير فتدخل العاملة يدها فيه وتخرج السمك منه.

وقد صورتهن وهن يعملن لم يشعرن بذلك حتى تكون الصورة طبيعية وخشية مني إن أنا أخبرتهن ألايوافقن على التصوير غير أن رجلاً كان يراقبهن من بعيد وكأنه الرئيس عليهن جاء إلينا فطلبت منه أن أصورهن وهن قد رفعن رؤسهن فأجاب إلى ذلك وأمرهن به فكانت هذه الصورة.

وقد أخبرنا ان هذا الغدير إذا لم يؤخذ منه السمك فإنه يموت ولاينتفع به أحد مع أنه صغير أذكر أنني قد اصطدت مثله مقداراً كبيراً من ماء متخلف من وادٍ عظيم يصب في العاقول قرب المدينة المنورة ويأتي معه سمك صغير وبيض السمك من مكان لا أعرفه ثم

يصبح مليئاً بالسمك حتى إذا نشف معظمه وتحول إلى غدران تجمع السمك فيها وكان كثيراً مزدحماً حتى ينشف الغدير تماماً ويموت سمكه إذا لم يلتقطه ملتقط لأن الوادي لايسيل كل عام كما هو معروف. وقد طرأت على ذهني بيتان هنا كانا قد طرآ على ذهني عندما رأيت غدير العاقول في المدينة المنورة يوشك أن ينشف فيموت سمكه وهما:

وقالوا: يعود الماء في النهر بعدما عفت منه آثار وجفت مشارعه

فقلت: إلى أن يرجع الماء عائداً ويعشب شطاه تموت ضفادعه

ولكن أهل لاوس المحتاجين لن يتركوا سمكه حتى يموت من جفاف الغدير وإنما يعاجلونه بالصيد الكثير.

قبل مدينة سونكلي:

وكنا على عزم الذهاب إلى مدينة (سونكلي) التي يصح أن تكتب (ساون كلي) فهي ليست منا ببعيدة وفيها ستة من الأخوة المسلمين على رأس ست من الأسر، ولكن الوقت داهمنا ونخشى أن يداهمنا معه سؤال من شرطة لا يقدرون الحرص على المعرفة حق قدره وبخاصة أن الغريب هنا لايمكن أن يستر غربته باللباس، لأن تقاسيم وجهه تشهد شهادة واضحة عليه.

ولم نهتد إلى الطريق الاسفلتي وكنا نسير مع طريق ترابي معبد وهو الذي دك دكا، ولم نر بيوتاً ولامنازل في هذا الريف الخالي حتى عدنا إلى الطريق الرئيسية المزفلتة.

ورأينا مناقع أخرى في الريف فيها بط يسبح ويأكل منها ولا أدري ماذا يأكل وأطفال يسبحون لأن مياهها تسمح لهم بذلك.

ورأيت عشة على الطريق وهي الكوخ الصغير من القش وعنده صاحبته وليس عندها إلا زيت لمحركات السيارات، فأوقفنا السيارة وأسرعت نحوها أريد أن التقط صورة لهذه العشة ولها ولكنها أجفلت مبتعدة، وقد ركبها خوف عظيم، واختفت وراء أشجار هناك صارت تنظر إلينا من خلالها وكأنما هي لم تشهد من قبل سياحاً يوجهون إليها عدسات مصوراتهم أو هي لم تفهم مغزى ذلك.

وكنت أريد أن أصور أنموذجاً للريفيات هنا فرأيت على البعد امرأة أخرى عند حانوت مماثل بعد أن تركنا تلك الخائفة وكوخها، وعشتها، وأوقفنا السيارة بعيداً وأخفيت المصورة ثم قال لها الأخ (هارون خان): إن هذا الرجل سائح يريد أن يلتقط صورة لك ولحانوتك فسمحت بذلك فكانت هذه الصورة. وكان معها طفل فحملته وصورني إخواني وأنا أحمله. ثم وضعت في يد الطفل قطعة من نقودهم المحلية الورقية لم يحلموا بها.

الحيوان قليل:

واصلنا السير عائدين إلى العاصمة فنتيان، وأنا لا أزل أعجب من قلة الحيوان في هذا الريف الذي لا يشكو نقصاً في الأعشاب ولا في المياه، ولكن ذلك بلاشك لعدم الوعي، وعدم وجود المال بأيدي الناس.

وسألت بهذه المناسبة عن ثمن الكيلو الواحد من لحم البقر فذكروا أنه ثلاثة آلاف (تيب) وهذا يساوي أربعة دولارات، وهو

مبلغ كبير بالنسبة إليهم. وقارنت في ذهني بين ماسمعته في هانوي عاصمة فيتنام وهو أن ثمن الكيلو من لحم البقر أكثر قليلاً من نصف دولار أي نحو ريالين سعوديين ومع ذلك لا تذوق طوائف كبيرة منهم اللحم إلا مرة في الشهر لقلة النقود عندهم، وضآلة دخول الأفراد.

وقالوا هنا: ان لحم الجواميس يباع بألفي تيب وهذا يقل قليلاً عن ثلاثة دولارات.

وذكروا هنا ماذكرته من قبل وهو أنهم لايعرفون لحم الضأن ولم يتعودوا على أكله لأنهم لايعرفون تربية الضأن تماماً ما عليه الحال في فيتنام. وبخاصة في الشمال.

وأما الكلاب التي يأكلها الفيتناميون ويتغالون في لحم أنواع معينة منها. فإنها تؤكل هنا ولكن على قلة. إذ نوه الأخوة المرافقون بأن قسماً من الناس لا يأكلون لحوم الكلاب، ولايستسيغون ذلك.

قلت: فيما مضى إن القرابة ظاهرة مابين أهل لاوس وأهل تايلند، وأكثر مايتمثل ذلك في اللغة ومن شواهد ذلك بالنسبة للغريب ثقل الراء في ألسنتهم كما هي ثقيلة على ألسن التايلنديين فإذا أرادوا أن ينطقوا مثلاً بلفظ رياض لم يستطيعوا ان يقولوا إلاّ (لياض).

عدت إلى الفندق في شارع (سام سن تاي) من الجولة بعد الثانية بقليل وأكلت الغداء في مطعم (نورجهان) التي معناها نور العالم وهو نور فعلي بالنسبة لي على الأقل إذْ وجدت فيه طعاماً لذيذاً رخيصاً حلالاً، بخلاف هانوي التي لايوجد فيها مطعم للمسلمين، ولذلك لاقيت عناءً في الطعام بها.

أما مدينة سايقون التي اصبح اسمها (هوشي منه) فإن فيها مطعماً للمسلمين واحداً. ومن الطريف أنني طلبت ماء للشرب معدنياً فقالوا: الماء موجود ولكن قارورة الماء الفارغة بدولار لأنها قليلة الوجود عندهم، فقلت لهم: إنها عندنا ترمى في القمامة.

المسيحيون في لاوس:

وقابلت في المطعم رجلاً أمريكياً يعمل في منظمة مسيحية دولية وكان أحضر أسرته على سيارة (جيب) قوية جديدة أوقفها عند المطعم.

حدثني عن عمله هنا فذكر انه أمريكي وان الناس هنا يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية، لكنه لايعمل لدى الحكومة الأمريكية، وإنما يعمل في هذه المنظمة المسيحية.

سألته عن عدد المسيحيين في لاوس لأنه مهتم بهذا الأمر ومتتبع له فأجاب: إنهم قلة إن نسبتهم لا تصل إلى ١٪.

إن عددهم ٣٥ ألف من مجموع سكان لاوس الذين يبلغون ٤ ملايين نسمة.

فقلت في نفسي: إن عدد المسلمين أقل منهم، ولكننا نرجو أن يزيد وان يتقوى بالمسلمين الجدد.

قال الأمريكي: ونحن نقدم للمسيحيين هنا كافة أنواع المساعدة.

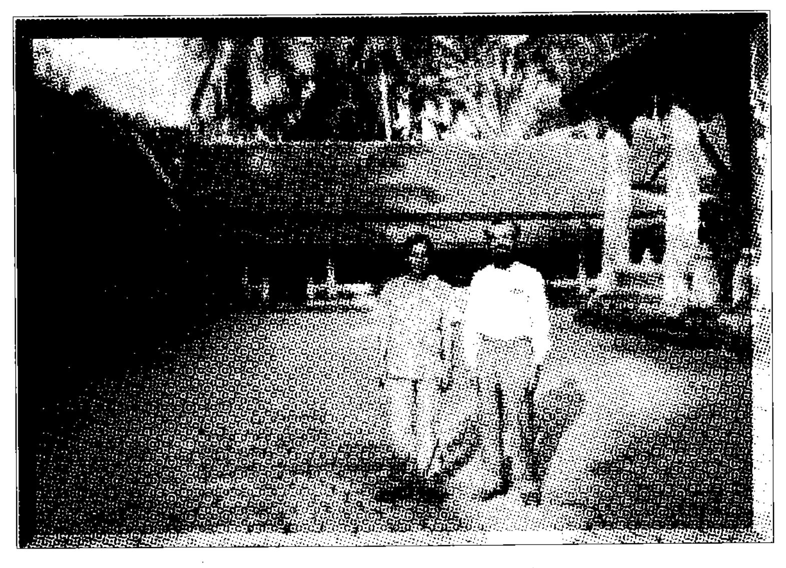
وهذا ظاهر من عناية منظمته به حيث يركب سيارة جيب جديدة ومن وجود هذا الشخص المتفرغ لهذا العمل مع أسرته وهو

يتجول في البلاد لهذا الغرض.

أما نحن المسلمين فإننا رغم إمكاناتنا الكبيرة التي أعطانا الله إياها من مال ورجال ومعادن ومراكز عالية لم نعمل شيئاً من أجل إخوتنا المسلمين هنا، ولولا بعض المال الذي دفعته من رابطة العالم الإسلامي لهم لقلت: إنهم لم يتلقوا أي دعم من أحد من المسلمين.

الناس واللباس:

بعد أن تغديت في (نورجهان) أطلقت لرجلي العنان، وجلت على قدمي فيما حول الفندق حتى قربت من سوق الصباح فرأيت الناس يشبهون– كما قدمت– التايلنديين في المظهر العام إلا أنهم أقل



[المؤلف في أحد متاحف لاوس مع عامل فيه]

منهم وجاهة أي أقل جمالاً منهم، وأما التقاسيم في الوجوه والملامح في الرؤوس فإنها هي هي عند التايلنديين لم تتغير.

واللباس للرجال هو العالمي المسمى بالافرنجي ولكنه المخفف المؤلف من سروال وقميص افرنجي كثيراً مايكون قصير الكمين. وأما النساء فإنهن يلبسن في الغالب صدرياً نسائياً قصير الكمين، تحته فوطة تضرب إلى أسفل الساق، وبعضهن تلبس بديلاً منها سروالاً واسعاً سميكاً.

ولم أرهم يلتزمون بلباس لهم وطني خاص.

ورأيت نصباً آخر يشبه على البعد الهرم الصغير ذكروا أنه أقيم تكريماً لمن اسموهم بالشهداء الفيتناميين الوطنيين الذين قاتلوا من أجل حرية بلادهم قبل أن تقع في الشيوعية.

والقوم مؤدبون مهذبون مع الغريب لاينفرون منه، ولايؤذونه، ولم أرهم يحاولون أن يستغلوه إذا اراد شراء شئ منهم. فهم في هذا الأمر أحسن من التايلنديين، على حسن معاملة التايلنديين الذين يعيشون خارج مواطن الاحتكاك المزدحمة في بانكوك. ولاحظت عدم وجود الخلاعة في الملابس والمعاملة لدى المرأة اللاووسية فهي أحسن من التايلندية في هذا الأمر بمراحل. وهذا رغم كون المرأة اللاووسية تعمل بكثرة كما تعمل التايلندية أو قريبا من ذلك.

يوم الأحد : ٢ / ٦ / ١٤١٢هـ - ٨ / ١٢ / ١٩٩١م :

جراد لاوس :

أسرعت في الصباح أفكر في المطعم الإسلامي الآخر لأن مطعم (نورجهان) لايفتح إلا للغداء والعشاء حيث يستمر عمله من الثانية عشرة ظهراً حتى الثانية عشرة ليلاً ويأكل عنده الأجانب والهنود أكثر من الوطنيين وذلك لغلاء طعامه بالنسبة إليهم.

مع ملاحظة أن أكثر الهنود الموجودين في فنتيان عاصمة لاوس هم من المسلمين وهم أكثر عدداً من الهنود غير المسلمين ثم رأيت فلاحات قد أحضرن بضائعهن بما سميته حوانيت الاكتاف والحوانيت : الدكاكين. وحانوت الكتف أن يجعل المرء بضاعته في وعائين قد يكونان زنبيلين معلقين على طرفي خشبة خفيفة يحملها البائع على كتفه والزنبيلان أو الوعاآن يتدليان واحد أمامه وواحد خلفه.

ورأيت امرأة قد جلست وأمامها بضاعتها فرأيت فيها شيئاً غريباً وهو حشرات كالجراد الصغار قد جمعته في كيس صغيرة وهي تبيعه ولم استطع أن أفهم منها شيئاً عن هذه الحشرات، ولا هي فهمت مني شيئاً إلا أنني لم اقبل أن اشتري بضاعتها ولم يكن معي من يترجم لي ماتقول.

ومن بضائعهن في هذا الصباح المبكر خضروات لا أعرفها أيضاً وقليل من الكوسة، وموز أخضر جيد.

مغادرة لاوس :

ودعني أهل فندق (جاموس آسيا) بحرارة وكانت معاملتهم طيلة الوقت لطيفة ومهذبة رغم مايوحي به اسم فندقهم من غلظة. وحملني الأخ (هارون خان) رئيس الجمعية الإسلامية بسيارته ومعنا الأخ الشيخ قمر الدين... إمام الجامع حيث وصلنا المطار فوجدناه غاصاً بالناس لايكاد المرء يجد رجله طريقاً بينهم، وذلك لكون الطائرة متجهة إلى بانكوك التي هي العاصمة الأولى التي لهم معها معاملات تجارية وغيرها وبعضهم كانوا من المودعين. ودخل معي الاخوان إلى منطقة الجوازات ثم تجاوزاها حتى قاعة المغادرة حيث الخروج للطائرة، وذلك لسهولة المعاملة عند اللاووسيين. ولكون الأخ (هارون) له علاقات جيدة مع الجميع فقد لاحظت أن الضباط وكبار الموظفين يعرفونه فيحيونه باحترام.

وأخذوا خمسة دولارات أمريكية رسم مغادرة المطار رغم كون جوازي سياسياً.

وقاعة المغادرة واسعة نسبياً، وفيها مقاعد كثيرة غير أنها كانت ممتلئة بالركاب.

ولاحظت أن هناك فرقاً في نبرات الصوت بين لغتهم ولغة تايلند فهم يعلنون باللغة اللاووسية ثم الانكليزية فيمدون الألفاظ حتى الانكليزية مداً مضحكاً.

ثم خرجنا إلى الطائرة وهي تايلندية تابعة لخطوط تايلند الجوية المعروفة اختصاراً باسم (تاي) وهي من طراز بوينغ ٧٢٧ وقد بانت في عيني كبيرة بالنسبة إلى طائرات فيتنام.

وكان قيامها من فنتيان إلى بانكوك في الواحدة إلا عشر دقائق ظهراً متأخرة ١٧ دقيقة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل وهذا لايعد تأخيراً يستحق أن تعتذر منه الشركة للركاب.

كانت تذكرتي بالدرجة الأولى ولكن الطائرة ليس فيها إلا درجة رجال الأعمال التي تماثل درجة الأفق في طائراتنا السعودية ولكنها كانت كلها مليئة وحتى مقاعد السياحية لم أر فيها مقعداً واحداً فارغاً.

والركاب كلهم من هذا الجنس المسمى بالأصفر- وأفضل أنا أن أسميه الجنس الصيني الجنوبي، وان لم تكن له علاقة الآن بالصين الجنوبي ولا الصين الشمالي وذلك لكونهم يشبهون سكان جنوب الصين، ومنهم - على سبيل المثال- سكان مدينة كانتون ومنطقتها وسكان مدينة كون منغ عاصمة ولاية (يونان) في الجنوب الغربي للصين، فإنك تجد التشابه كبيراً بين السكان: سكان تلك الجهة وبين هؤلاء الأقوام الصفر الفطس من التايلنديين والكمبوديين واللاووسيين.

إضافة إلى ما ذكره بعض المؤرخين وعلماء الأجناس من كون الجنس الملايوي الذين يدخلون تحته الماليزيين والاندونيسيين واحياناً التايلنديين قد جاءوا في الأصل من جنوب الصين ولكنهم استقروا فترة في فيتنام الجنوبية في المنطقة التي تسمى الآن منطقة (تشامبا).
كان أهم ما استرعى انتباهي في الطائرة وجود جرائد ومجلة الشركة وتعليمات الهبوط الاضطراري التي فيها بيان نوع الطائرة وذلك شئ غير موجود في الطائرات الفيتنامية التي اعتدت ركوبها منذ أيام فهي كسائر طائرات الدول الشيوعية لايكون في جيوب المقاعد فيها أي شئ من ذلك ولا غيره.

كانت خدمة هذه الطائرة التايلندية جيدة وكان في طعامها سمك نظيف إذ قدموا وجبة غداء كاملة رغم كثرة الركاب.

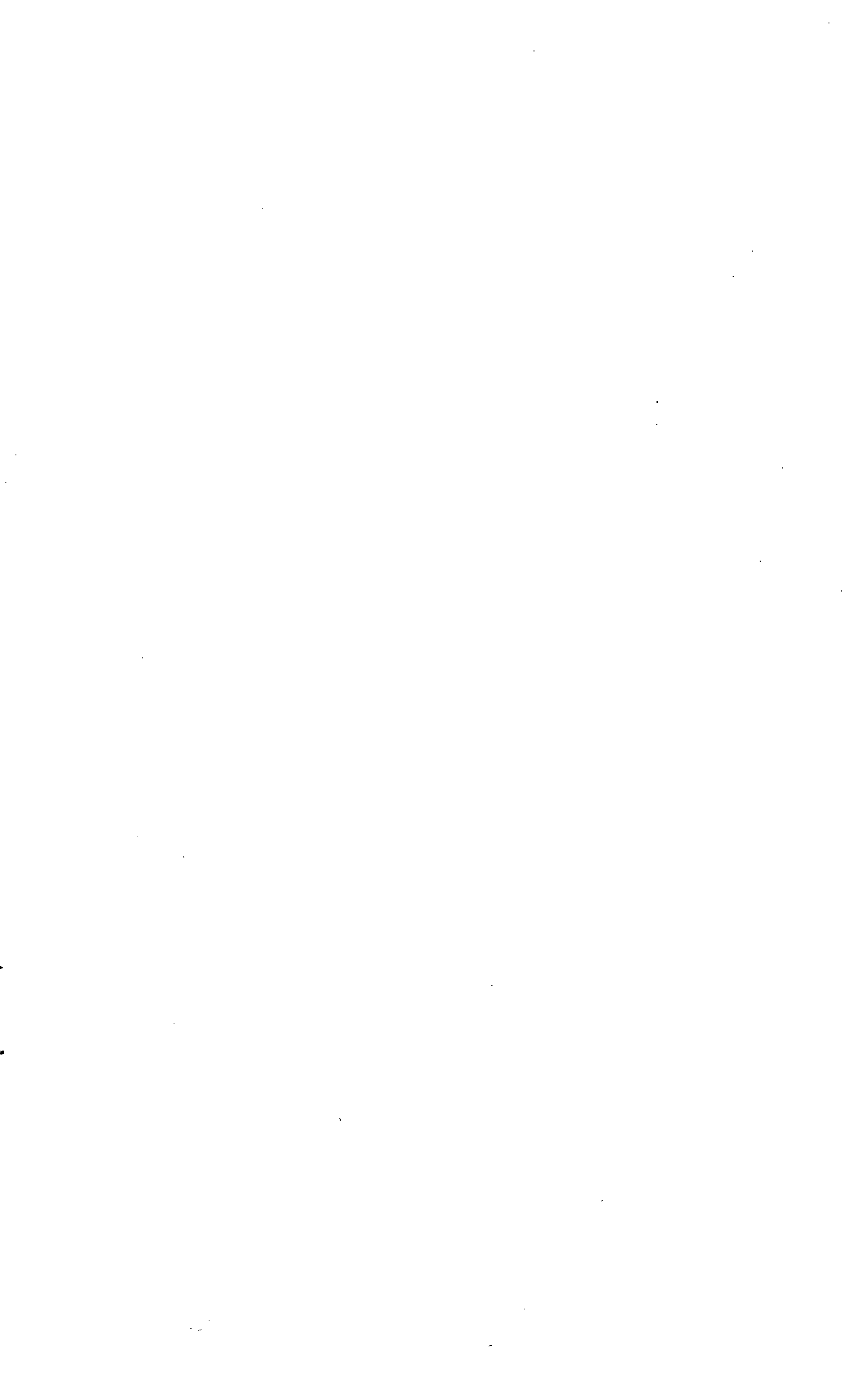
وقد استغرق الطيران من فنتيان إلى بانكوك ٥٥ دقيقة.

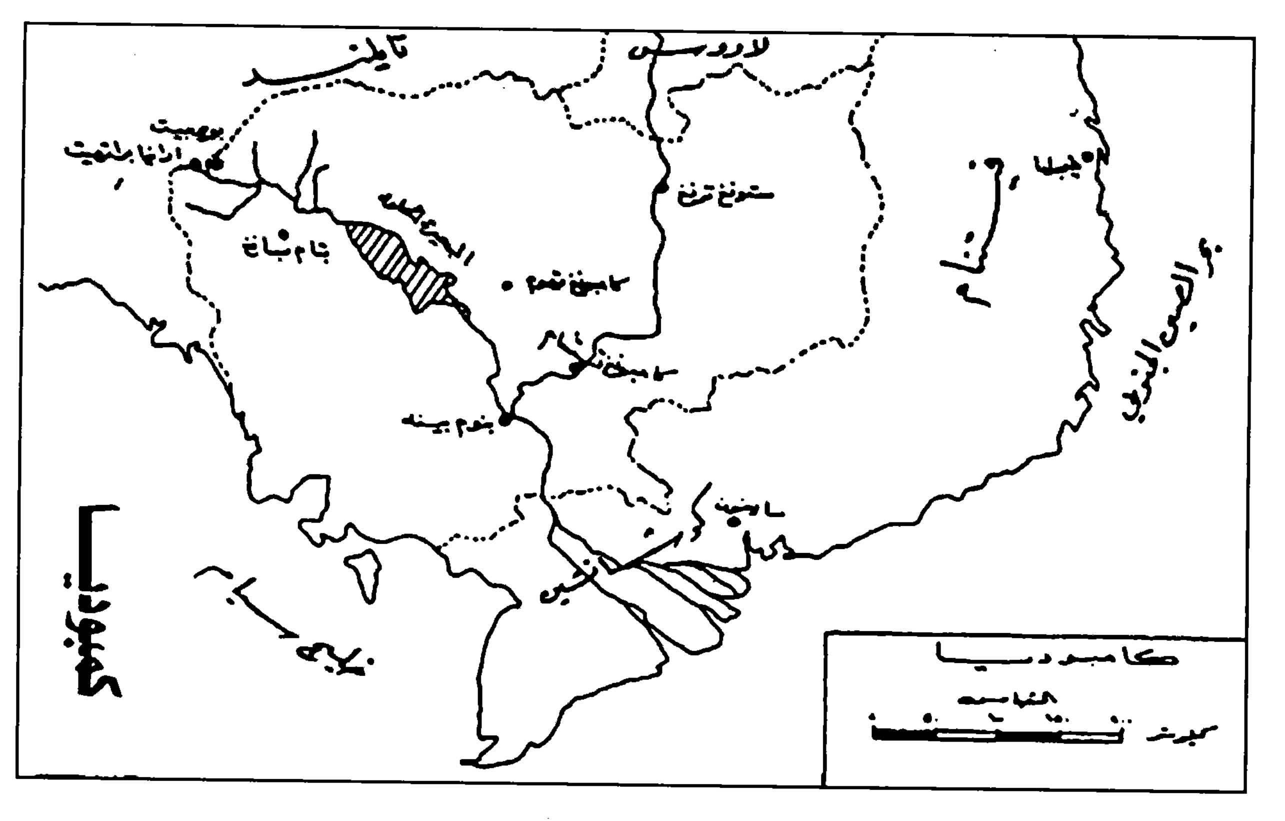
وعند الهبوط في مطار بانكوك شعرت بأننا عدنا إلى العصر الحديث فعلاً بعد البلدان الشيوعية في فيتنام ولاوس التي تعد متأخرة في هذا المضمار وحتى الطائرات الضخمة التي تتبع الشركات العالمية الرئيسية موجودة بكثرة في المطار.

وقد لبثت في تايلند بعض الوقت ثم سافرت بعدها إلى كمبوديا.

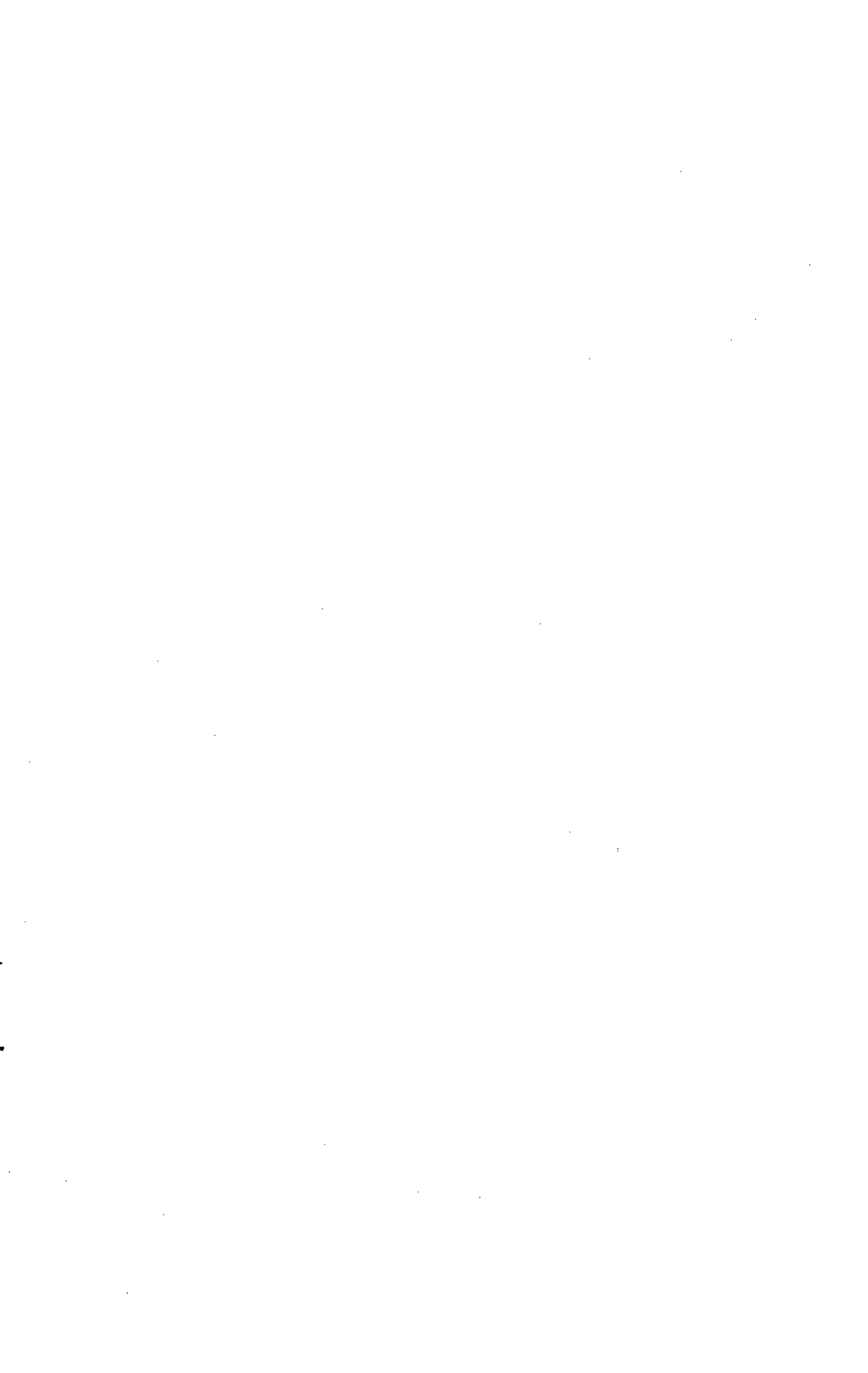
القسم الثاني

كمبــودا





كمبوديا
تايلند
لاووس
فيتنام
بحر الصين الجنوبي
خليج سيام
بنوم بينه
ستونغ ترنغ
باتام بانغ



تقع كمبوديا في جنوب شرق آسيا ضمن مجموعة دول الهند الصينية وتحدها فيتنام جنوباً وشرقاً، ولاوس وتايلند من جهة الشمال والغرب وتنحصر بين خطي العرض ١٠ و١٤ شمال خط الاستواء.

وتتألف أرضها من سهل واسع تجري فيه عدة أنهار هامة أشهرها ميكونج ومن سلاسل جبلية في شرق البلاد وغربها.

وتبلغ مساحتها ١٨٢ ألف كيلو متر مربع.

وهي ذات مناخ حار صيفاً ودافئ شتاءً وكثيرة الأمطار وخاصة في فصل الصيف.

التـاريخ :

كانت تعرف بإمبراطورية خمير وهي إحدى الإمبراطوريات القديمة المشهورة في جنوب آسيا الشرقي وقد خلفت آثاراً عمرانية وتاريخية عريقة، وقد شهدت هذه المملكة صراعات بينها وبين بلاد النام (فيتنام) من جهة وسيام (تايلند) من جهة أخرى خلال القرون ١٥ـ ١٩ الميلادية مما حدا بملكها مناشدة الفرنسيين التدخل سنة ١٨٥٤م. وفي سنة ١٨٦٣م أعلنت فرنسا الحماية على كمبوديا.

وفي سنة ١٩٤٩م منحت الاستقلال الذاتي. وفي عام ١٩٥٥م منحت الاستقلال التام برئاسة الأمير (نور دوم سيهانوك) وقد شهدت حروباً أهلية بعد الاستقلال حتى تحالفت مع فيتنام الجنوبية

وأمريكا ضد فيتنام الشمالية وثوار الخمير روج (الحمر). وفي سنة ١٩٦٩م وقع انقلاب عسكري ضد سيهانوك وكان بقيادة الجنرال (نول لون) الذي يعتبر امريكي الميول.

وفي سنة ١٩٧٥م استطاع أنصار سيهانوك اليساريون احتلال البلاد إثر انسحاب الأمريكيين من فيتنام ولاوس وكمبوديا ثم وقعت حرب أهلية بين الكمبوديين أنفسهم واستطاع الخمير روج احتلال البلاد وتحالفوا مع الصين الشيوعية في أوج طغيان الثورة الثقافية فقتلوا من خالفهم من أهل البلاد وبخاصة من ذوي النفوذ والمكانة، ومنهم مسلمون كثر إلى أن تدخلت فيتنام في كمبوديا بجيش جرار فلجأ الخمير الحمر بزعامة السفاح بول بوت إلى الحدود التايلندية وأيدتهم تايلند والولايات المتحدة الأمريكية رغم جرائمهم البشعة من أجل مقاومة النفوذ الفيتنامي الذي كان يخشى أن يمتد إلى تايلند. فاستمرت الحرب الأهلية في البلاد التي عطلت كثيراً من امكاناتها، وبعثرت طاقاتها حتى عقد مؤتمر دولي للمصالحة بين الأطراف المتنازعة بإشراف الأمم المتحدة التي ارسلت قوات لحفظ السلام هناك.

ينتمي المسلمون في معظمهم إلى جماعات التشامبا وهم جماعات ينتمون إلى العنصر الملايوي (الجاوي) أو ينتمي إليهم العنصر الميلاوي- على اختلاف بين الباحثين في ذلك.

وكانت لجماعات التشامبا ملكة مسلمة حكمت في المنطقة، التي تؤلف الحدود مابين فيتنام وكمبوديا. ولكن قضى عليها الفيتناميون منذ نحو خمسمائة سنة ومع ذلك بقيت بقاياهم في المنطقة منقسمين مابين كمبوديا وفيتنام محافظين على عقيدتهم

الإسلامية عبر القرون رغم الضغوط الصعبة وقلة الأنصار، وانقطاع صلتهم بالحواضر الإسلامية في البلدان العربية ماعدا صلتهم بماليزيا التي تجمعهم بشعبها وشائج اللغة والأصل.

كما يوجد مسلمون من الخمير الذين هم من أهل البلاد الأصلاء وقد اختلط بعضهم بالمسلمين التشامبيين وبعضهم لايزالون يؤلفون أقلية بين الخمير غير المسلمين في أهل كمبوديا ولذلك نزح منهم من نزح إلى حدود تايلند عندما أضطر الخمير الحمر المسمون (الخمير روج) بهذا المعنى إلى حدود تايلند تحت ضغط القوات الفيتنامية والمتعاونين معها من الكمبوديين.

والخمير الحمر هم الخمير الشيوعيون وصفوا أنفسهم بالحمر لأن هذه هي صفة الشيوعيين الشائعة.

وهم من الخمير الذين هم أكبر جماعات أهل كمبوديا حتى قيل إنهم يؤلفون فيها نسبة ٦٠٪ من السكان.

وأصلهم- فيما يقال- من بلدة في الهند اسمها (كمبوش) ولذلك غيروا اسم (كمبوديا) عندما حكمها الشيوعيون منهم إلى (كمبوشيا) بدلاً من كمبوديا، إلا ان الحكومة التي جاءت بعدهم أعادت اسم البلاد إلى ماكان عليه في السابق (كمبوديا).

فالخمير يعتقدون أنهم أكثر أصالة في الوطنية من غيرهم من السكان لأنهم أيضاً أكثر الجماعات عدداً فيها- ولقد أغرب بعض الباحثين العرب عندما قال: إن (خمير) أصلها (قمار) التي وردت في كتب البلدانيات العربية وذكر ان فيها نوعاً من عود البخور يسمى العود القماري.

وقد رجعت حين سمعت بذلك إلى معجم البلدان، لياقوت فلم أر في لفظ (قمار) الذي ذكره مايدل على كونهم من أهل كمبوديا، بل يدل على أنهم من أهل الهند، إلا إذا أريد بذلك ان اصل مجيئهم إلى كمبوديا من قمار في الهند، وليس من كبوش في الهند كما يقولون هم الآن في الوقت الحاضر، أو إذا أريد ببلاد الهند مايشمل الهند الصينية الآن فهذا كان مفهوم الأوروبيين للهند في القديم. والله أعلم.

دخول الإسلام إلى كمبوديا :

لا يعرف بالضبط تاريخ دخول الإسلام لأول مرة في كمبوديا، لأن الدعاة إلى الله الذين يكونون في الغالب من التجار أو من الدعاة لا يؤرخون عملهم لأنهم يريدون بذلك وجه الله سبحانه وتعالى ولذلك يمكن القول، وتبعاً لوجود بعض القرائن والشواهد ان أول الوجود الإسلامي في المنطقة كان إبان إزدهار مملكة (تشامبا) التي كانت تقع بين فيتنام وكمبوديا يعني أن أكثر أراضيها في فيتنام وأقلها كانت واقعة في كمبوديا، ويفترض أن أول قيام هذه المملكة (التشامبية) المسلمة كان خلال القرن الخامس الهجري.

وتدل الدلائل والقرائن المعروفة على أن الإسلام دخلها نتيجة للعلاقات التي قامت بين هذه البلاد التشامبية وبين الممالك والامارات الملايوية المسلمة التي كانت موجودة في بعض أنحاء مايعرف الآن باندونيسيا وماليزيا فهي تشترك مع جماعات التشامبا في اللغة والعنصر، ولذلك قويت العلاقات بينهما التي كانت نتيجتها أن أسلم أولئك (التشامبيون).

ويكاد يكون من المؤكد أن جماعة تشامبا الموجودة الآن في كمبوديا قد هاجر معظمها من فيتنام أثناء القرن الخامس عشر الميلادي عندما اكتسح الفيتناميون بصفة نهائية مملكتهم الشهيرة المسماة تشامبا في فيتنام الوسطى، وإن كانت بقيت لهم إمارة دون نفوذ أو شوكة تذكر وقد هاجروا تحت سياسة القمع الذي مارسه الفيتناميون ضد جماعة التشامبا حتى اضطرهم ذلك إلى أن يبحثوا لهم عن مكان جديد يتمكنون من العيش فيه وممارسة العقيدة الإسلامية بسلام واطمئنان لأنه منذ سقوط مملكة تشامبا لم يسمح لأفرادها بممارسة عقيدتهم نظراً للضغوط المفروضة عليهم من قبل الفيتناميين الذين كانوا مصممين على القضاء على الدين الإسلامي هناك.

ومع ذلك بقيت بقايا عديدة من المسلمين التشامبيين في فيتنام، وقد زرتها واجتمعت بكبار المسلمين هناك وزرت ١٣ مسجداً من مساجدهم البالغة ١٤ مسجداً في عاصمة فيتنام الجنوبية التي تسمى الآن: (هوشي منه) وكانت تسمى سابقاً (سايقون) وقد ذكرت ذلك مفصلاً في كتاب: «أيام في فيتنام»..

ويقطن المسلمون في المناطق الموضحة أدناه:

١- كامبونج تشام (عاصمة منطقة كامبونج تشام).

٢- منطقة كوهثوم (محافظة كانداك).

٣- المنطقة حول مدينة فنوم بنه العاصمة.

٤- محافظة كامبوت.

٥- كومبونج ثوم.

٦– محافظة جانج (على طول نهر توتيل ساى).

٧– محافظة بورسات.

٨– كوميونح سوم.

٩– محافظة باتامبانج.

وقد استطاعت هذه الأقلية العددية المسلمة المحافظة على التزامها القوي بالدين الإسلامي الحنيف وسط أكثرية كمبودية بوذية، واستمرت على ذلك دون عقبات قبل الاطاحة بحكم الأمير (نوردم سيهانوك) منذ عشرين سنة تقريباً.

وعندما استولى الخمير الحمر التابعون لنظام بول بوت على السلطة في عام ١٩٧٥م وضعوا القضاء على المسلمين الملتزمين بالإسلام نصب أعينهم، وذلك لكون المسلمين كانوا أقلية متميزة في مجتمع وثني غارق في الخرافات ولكون المسلمين كانوا بحكم التزامهم بعقيدتهم الإسلامية العميقة في نفوسهم ممن قاوموا الالحاد الشيوعي وأبوا حتى مسايرته وهو إلحاديّ فظ قاسٍ يفعل كل مايمكنه في سبيل القضاء على خصومه ولو كان يتنافى مع أبسط قواعد السلوك الإنساني أو القانوني الدولي.

ولم يكن للمسلمين مكان يلجأون إليه يعوضهم عن وطنهم الذي ظلموا فيه.

وقد انتشرت أعمال القمع والعسف ومصادرة الأملاك بل والقتل ضد المسلمين التشامبيين في كمبوديا كلها وبخاصة في مقاطعتي كامبونغ تشام وكومبونغ اسبيو.

وتحت توجيه أئمة المساجد وعلماء الدين تظاهر آلاف المسلمين في عدد من مناطق البلاد ضد التمييز العرقي، والاستيلاء على المساجد وهدم أكثرها، وإجبار المسلمين على أكل لحم الخنزير.

وفي عام ١٩٧٥م ازداد قتل المسلمين واضطهادهم حتى إن المساجد التي كان عددها في كمبوديا آنذاك ١٢٧ مسجداً قد دمرت كلها تقريباً، وقتل عدد من أئمة المساجد والدعاة إلى الإسلام، ورجال الفتوى. حتى صارت عقوبة أدنى ممارسة للشعائر الدينية الإسلامية، أو حتى استخدام لغة (تشامبا) هي القتل وقد بذل المسلمون لمقاومة هذا الاضطهاد أقصى ماتتحمله الطاقة البشرية للتشبث بإسلامهم، وحث الناس فيما بينهم على عدم الاستسلام للإرهاب والعقاب لمن يتمسكون بدينهم منهم.

وحتى الآن لم يحدد على وجه الدقة عدد المسلمين الذين قتلوا أوماتوا من المرض أو الجوع أثناء حكم نظام (بول بوت) وكذلك لم يحدد عدد الذين نجوا وقبيل حلول ١٩٧٥م يقال إن عدد المسلمين في كمبوديا كان يتراوح مابين (٦٠٠,٠٠٠) إلى (٧٠٠,٠٠٠) ويقال أيضاً : إن ثلثي هذا العدد أو (٥٠٠,٠٠٠) منه ماتوا أثناء السنين السوداء لحكم بول بوت وهي مابين ١٩٧٥- ١٩٧٩م وكذلك قتل عدد من المسلمين عندما كانوا يحاولون الهرب من البلاد بعد سقوط نظام بول بوت.

ولكن منذ تسلم نظام هنج سام رين لدفة الحكم في فنوم بنه طرأ تحسن كبير على معاملة المسلمين الذين يتمتعون الآن من الناحية العملية بمطلق الحرية في القيام بممارسة شعائرهم الدينية ويحق لهم

كذلك الإحتفال بالمناسبات الدينية بعد الموافقة الرسمية من السلطات وبعض المساجد التي هدمت أثناء حكم بول بوت الجائر أعيد إصلاحها وبعضها تمَّ إصلاحه بمساعدة حتى من الحكومة نفسها.

وتم تشجيع المسلمين على المشاركة في الادارة المحلية وتم تشكيل جمعية إسلامية تهدف لرعاية الجماعة الإسلامية في كمبوديا، مما يصح القول معه انهم عوملوا معاملة خاصة فيها شئ من الرعاية ربما كان ذلك بسبب معرفة السلطات الكمبودية تلك بمالاقاه المسلمون أكثر من غيرهم من قتل وظلم من عصابات (بول بوت).

لكن رغم المعاملة الخاصة فإن الأمل مايزال يراود معظم المسلمين في مغادرة هذه البلاد ذلك لأنهم يخشون من أن هذه السياسة للنظام الشيوعي الحالي ماهي إلا خطوة تكتيكية وأن النظام ربما يصبح في المدى البعيد جائراً تجاههم مثل نظام (الخمر روج) السابق لأن النظامين كلاهما شيوعي.

ومن المسلمين موظفون كبار في الدولة الآن كالأستاذ محمد على عبدالرحمن نائب رئيس مجلس الأمة، وله مقام كبير في الجبهة الوطنية التي يرأسها هنج سام رين.

والأستاذ عبدالله حمزة نائب وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء.

ولا تمانع الحكومة في أية مساعدة تصل للمسلمين والفرصة سانحة لذلك لاسيما بعد أن تمت المصالحة الوطنية بين جميع الأطراف المتنازعة في كمبوديا وبعد أن عاد الأمير سيهانوك إليها .

والمستوى الاقتصادي للمسلمين في كمبوديا ضعيف جداً مثل سائر السكان ويشتغلون بصيد الأسماك والزراعة ويغلب عليهم الفقر الذي يسود البلاد .

ونتيجة للاضطهاد الذي وقع عليهم في عهد السفاح (بول بوت) هاجر مايزيد منهم على النصف إلى الخارج وبخاصة إلى ماليزيا وفرنسا والولايات المتحدة وكندا ومستواهم في المعرفة الإسلامية متدن أيضاً لعدم وجود مؤهلين دراسياً إلا أنهم محترمون الآن من الجميع.

ولاتزال بقايا المسلمين الآن موجودة في كمبوديا وفي فيتنام على الحدود بين البلدين وسوف يأتي الحديث في اليوميات عن مؤسسات المسلمين الكمبوديين، كما أن المسلمين الفيتناميين قد تحدثنا عنهم في كتاب .. « أيام في فيتنام » . . .

وقد زرنا عدداً من المساجد في منطقة (فنوم بنه) العاصمة وعرفنا أن أكبر عدد من المساجد يوجد في مدينة (كمبونج تشام) التي تبعد ١٢٠ كيلومتراً عن (فنوم بنه) وفيها مابين ٦٠ إلى ٧٠ مسجداً، كما كانت تحفل بعدد من العلماء والمشتغلين بعلوم الدين ولكنهم غادروها بعد إرهاب بول بوت وعصاباته من الخمير الحمر.

ويقدر عدد المسلمين في العاصمة (فنوم بنه) وماحولها بثلاثة عشر ألفاً من مجموع عدد المسلمين الباقين في كمبوديا في الوقت الحاضر وهو مائتا ألف وكانوا قبل استيلاء الشيوعيين على الحكم يبلغ عددهم سبعمائة ألف كما تقدم وهاجر أكثرهم وتركوا البلاد هرباً من الشيوعيين لأنهم كانوا من رجال المال والأعمال ويعتبرون من الجماعات المتميزة بكثرة ضباط الجيش والعاملين في الخدمة العامة منهم.

وحسب مارأيناه في كمبوديا فإن المسلمين الذين بقوا الآن فيها لايعانون ضيقاً أو اضطهاداً، ويمارسون شعائرهم الدينية بحرية وأمن، وقد أعادوا بناء بعض المساجد التي دمرت في عهد السفاح «بول بوت» زعيم الخمير الحمر.

وفي داخل العاصمة مسجد واحد أما ضواحيها والقرى القريبة منها ففيها مساجد كثيرة.

كما أن هناك بعض الولايات التي يكثر بها المسلمون مثل ولاية «كامبونج تشام».

ويبلغ عدد المساجد في جميع أنحاء كمبوديا ما يقرب من مائتي مسجد ولكن حالة المساجد متدنية من حيث المباني والأثاث والتجهيزات الأخرى وأغلبها يحتاج إلى ترميم وكذلك الحال بالنسبة للمرافق الملحقة بها.

وليس لأئمة المساجد ومعلمي المدارس الإسلامية أي رواتب منتظمة وإنما يعمل بعضهم محتسبين. وبعضهم يتقاضون مبالغ ضئيلة مما يدفعه أولياء أمور الطلاب بصفة غير منتظمة وسيأتي وصف ذلك في اليوميات إن شاء الله.

الأوضاع الحاضرة في كمبوديا

تمهيـــــد :

دخلت القوات المسلحة الفيتنامية، وقوات الجبهة الكمبودية المتحدة للإنقاذ الوطني المؤيدة لفيتنام وهي التي يقودها هنج سام رين مدينة فنوم بنه في يوم ٧ / ١ / ١٩٧٩م بعد أن هربت منها قوات نظام الخمير الحمر بقيادة بول بوت إلى منطقة الحدود بين تايلند وكمبوديا. وقد أعلن على إثر ذلك قيام مجلس ثوري شعبي تحت قيادة هنج سام رين، وحظي باعتراف فوري من الاتحاد السوفيتي ودول حلف (وارسو) باستثناء رومانيا.

وبعد يومين من ذلك أعلنت إذاعة هانوي رسمياً قيام جمهورية كمبوديا الشعبية.

ولقد أدين هذا التدخل العسكري الفيتنامي بشدة من قبل منظمة شعوب جنوب آسيا الشرقي.

وفي ١٥ / ١ / ١٩٧٩م صوت مجلس الأمن الدولي باستنكار العمل الفيتنامي في كمبوديا، لكن الأتحاد السوفيتي استخدم حق النقض (الفيتو) ضد هذا المشروع. وطوال عام ١٩٧٩م استمرت محاولات الفيتناميين وحلفائهم الكمبوديين الهادفة للقضاء على بقايا قوات نظام بول بوت الشيوعي الذي كان لايزال يحظى باعتراف الكثير من البلدان ومن بينها عدد من بلدان منظمة جنوب آسيا الشرقي.

وأثناء المناقشات التي دارت في أروقة الأمم المتحدة كانت حكومات شعوب المنظمة المذكورة تدافع عنه رغم اعترافها بأنه قد ارتكب جرائم كبرى ضد شعبه بحجة أن نظام هنج سام رين قد فرض على كمبوديا من الخارج ولم يحكمها إلا بقوة فيتنام العسكرية.

ويعلم الفيتناميون أنه لايمكن الحصول على الاعتراف بالنظام الذي أقاموه إلا بعد القضاء التام على الخمير الحمر، وأنه لابد من استعمال القوة العسكرية إلا أن معنى ذلك استمرار معاناة الكمبوديين لويلات الحرب التي من بينها المجاعة التي كانت في الأساس نتاجاً طبيعياً لنظام بول بوت وعصاباته من الخمير الحمر، لأن الطعام أصبح سلاحاً في الحرب وان عشرات الألوف من الخمير ومن بينهم بعض أبناء المسلمين هربوا إلى تايلند.

الوضع العسكري :

مع أن القوات الفيتنامية وقوات هنج سامرين الكمبودية قد وصلت إلى حدود تايلند خلال أيام من سقوط مدينة فنوم بنه بأيديها فإن مقاومة قوات (الخمير روج) والتي يحتمل أن يكون عددها قد تراوح مابين ٢٥٠٠٠- ٣٠٠٠٠ رجلاً أخذت تقاوم وفي مطلع فبراير ١٩٧٩م جاء في نبأ لإذاعة (صوت كمبوتشيا الديمقراطية) التي تبث من جنوب الصين وتؤيد الخمير روج أن مجلس الحرب للخمير روج قد قرر البدء في استراتيجية حرب العصابات حتى يتحقق النصر النهائي.

وكانت الاستراتيجية الفيتنامية هي القضاء على قواعد الخمير روج المجاورة للحدود التايلندية، ومنذ مايو ١٩٧٩م علم أن جنوداً من ٢٢ وحدة فيتنامية يبلغ عددها مائة وخمسين ألف رجل (١٥٠,٠٠٠) نشرت في فيتنام والحقت خسائر كبيرة بالخمير روج الذين ارغموا على الهرب إلى تايلند. ولذا فإن قوات بول بوت قد اضطرت للقتال بصفة أساسية كوحدات حرب عصابات مسندة ظهورها إلى حدود تايلند. وأشارت التقارير الأخرى إلى أن الخمير روج قد نظموا قيادة رئيسية ونظام ضبط وتحكم مقرهما في الجبال الغربية لكمبوديا وقد وجدت قوات الخمير الحمر (الخمير روج) التأييد والحماية من القوات التايلندية رغم كونها نظاماً شيوعياً إرهابياً منعاً لانتصار فيتنام في كمبوديا التي قد يغريها النصر في غزوها لكمبوديا بغزو تايلند نفسها.

ويقال مثل هذا في موقف بعض الأوساط الدولية مثل الولايات المتحدة التي كان هدفها في هذه المرحلة أن تمنع اجتياح قوات فيتنام لقطر آخر من أقطار الهند الصينية، لاسيما انها خارجة من هزيمة منكرة في فيتنام.

وبحلول موسم الجفاف في نهاية سبتمبر ١٩٧٩م زيدت قوى المقاتلين الفيتناميين إلى عدد يقدر بمائتي ألف رجل (٢٠٠,٠٠٠) لاكتساح وتمشيط المنطقة الشمالية والجنوبية على طول الحدود مع تايلند وقد أدى ذلك إلى تقسيم قوات (الخمير روج) إلى جيوب مقاومة صغيرة (حرب عصابات) وإلى إجبار الكثير من جماعات الخمير روج المقاتلة على الدخول لتايلند ومنذ ديسمبر ١٩٧٩م يقال

إن القوات الفيتنامية ظلت تزرع الألغام على الجانب الكمبودي للحدود التايلندية لمنع عودة قوات (بول بوت) إلى كمبوديا.

وفي الوقت نفسه استمرت محاولات نظام هنج سامرين في فنوم بنه ومؤيديه الفيتناميين الهادفة للحصول على الاعتراف الدولي من الأمم المتحدة فكانت أقل نجاحاً من نجاح استراتيجيات هانوي العسكرية إذْ أصبح من الواضح جداً أن الغرب والصين والدول الآسيوية ودول عدم الانحياز كلها تعارض أي اعتراف ببسط النفوذ السوفييتي والفيتنامي في كل أرجاء الهند الصينية حتى وان كان ذلك يعني الاستمرار في الاعتراف بنظام بول بوت الدموي.

واثناء الجلسة الخامسة والثلاثين للجمعية العمومية للأمم المتحدة التي عقدت في أكتوبر عام ١٩٨٠م جرى التصويت من أجل احتفاظ كمبودتشيا الديمقراطية بقيادة بول بوت بمقعدها في الأمم المتحدة وفاز الاقتراح بـ ٧٤ صوتاً مقابل ٣٥ صوتاً لصالح الاحتفاظ بالمقعد. وفضلاً عن ذلك فإن الجمعية العامة للأمم المتحدة تبنت قرار منظمة شعوب جنوب شرقي آسيا الذي نتيجته ٧١ مؤيداً، ٢١ معارضاً، و٢٩ ممتنعاً عن التصويت والذي ينادي بعقد مؤتمر دولي حول كمبوديا في مطلع عام ١٩٨١ بهدف التوصل لحل سياسي للنزاع الكمبودي ولكن قبل ذلك في ١٤/١١/١٩٧٩م دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى سحب كل القوات الأجنبية من كمبوديا وقد أيد تلك الدعوة ٩١ عضواً وعارضها ٢١ وامتنع ٢١ عضواً عن التصويت.

لقد ظل الفيتناميون ومؤيدوهم وصنائعهم الكمبوديون يحاولون أن يثبتوا للعالم أن الوضع في كمبوديا يعود إلى حالته الطبيعية مع

سعيهم إلى التعتيم على القضية المركزية للنزاع وهي الوجود المستمر للقوات الفيتنامية في كمبوديا.

إن هانوي وفنوم بنه من خلال الاجتماعات السنوية لوزراء خارجية منطقة الهند الصينية التي عقدت في فنوم بنه في ١٩٨٠م وفنتيان ١٩٨٠ وهوشى منه في يناير ١٩٨١م قد ناشدتا منظمة جنوب شرقي آسيا بتفهم الموقف في كمبوديا لكن منظمة شعوب جنوب شرقي آسيا تقف بصلابة على مبدئها المتضمن أن أي اقتراح للتسوية يسكت عن التدخل العسكري واستمرار الاحتلال العسكري الفيتنامي لكمبوديا الذي هو السبب الأساسي لعدم الاستقرار الحالي والتوتر في جنوب شرقي آسيا يعتبر غير واقعي.

سنوات صعبة:

تلت هذه الأحداث سنوات صعبة للشعب الكمبودي فالحرب الأهلية مستمرة بين نظام الحكم الذي يتزعمه هنج سام رين وتؤيده فيتنام التي لها جيش احتلال قوي في البلاد وبين عصابات بول بوت التي تؤيدها تايلند والصين وبعض الدول الغربية رغم سجلها الحافل بالإرهاب والقتل وذلك من أجل مكافحة النفوذ الفيتنامي في الهند الصينية.

وقد صحب ذلك الخوف والجوع والنقص من الأموال والأنفس والثمرات. وفي الوضع الحالي اتفقت الجهات المتخاصمة في كمبوديا في باريس على خطة للسلام ترعاها الأمم المتحدة وتؤيدها الدول

الكبرى الفاعلة في المنطقة تتضمن عودة الزعماء المبعدين وغيرهم إلى البلاد وتحديد مرحلة انتقالية لمدة ثلاث سنوات تجري بعدها انتخابات عامة بإشراف الأمم المتحدة ويتولى الحكم فيها من ينتخبه الشعب وقد حدد لإجراء الانتخابات آخر شهر مايو عام ١٩٩٣م.

وقد عاد الآن إلى فنوم بنه أكثر الزعماء السياسيين المعارضين وعلى رأسهم الأمير نور دوم سيهانوك رئيس وزراء كمبوديا السابق المحبوب من عامة الشعب.

وفر بعض زعماء الخمير الحمر المتهمين بقتل مئات الألوف من الكمبوديين ومنهم المدعو (صن من) وزير دفاع الخمير الحمر الذي يلقب بجزار (فنوم بنه) لكثرة من مات على يده وأيدي أتباعه وكثرة من عذبوهم من أفراد الشعب الكمبودي.

اقتراحات سريعة لدعم
العمل الإسلامي في كمبوديا

(أ) تخصيص مبلغ لايقل عن خمسمائة ألف دولار أمريكي لترميم مساجد العاصمة وضواحيها واستكمال إعادة بناء المساجد المذكورة والقرى القريبة منها وعددها اثنان وعشرون مسجداً.

(ب) تخصيص ٥٠,٠٠٠ (خمسين ألف دولار أمريكي) للإسهام في إقامة الجامع الكبير المزمع إقامته على أرض الوقف الإسلامي الواسعة الموجودة في بلدة في الكيلو تسعة.

(ج) تخصيص ثلثمائة ألف دولار أمريكي للإسهام في ترميم المساجد في مدينة كامبونج تشام.

(د) دعوة وفد يتألف من زعماء المسلمين الكمبوديين لأداء العمرة بدعوة من رابطة العالم الإسلامي والقيام بجولة داخل المملكة للاطلاع على معالم النهضة فيها.

(هـ) دعوة ممثلين عن المسلمين الكمبوديين إلى المؤتمرات والندوات التي تقيمها الرابطة والجهات الأخرى في المملكة العربية السعودية والمؤسسات المتعاونة معها في خارج المملكة العربية السعودية.

(و) تخصيص منح دراسية سنوية ثابتة لمدة عشر سنوات على الأقل في جامعات المملكة لأبناء المسلمين الكمبوديين والاتصال بالأزهر الشريف في مصر وجامعة القرويين بالمغرب وغيرهما وذلك لتخصيص أكبر عدد من المنح الدراسية لأبناء المسلمين من كمبوديا.

(ز) الاتصال بهيئات الإغاثة الإسلامية لمساعدة المسلمين المتضررين الذين هدمت منازلهم واغتصبت ممتلكاتهم في عهد السفاح «بول بوت».

(ح) تقديم إعانة للمدارس والكتاتيب الملحقة بالمساجد لا تقل عن ثلاثين ألف دولار في السنة.

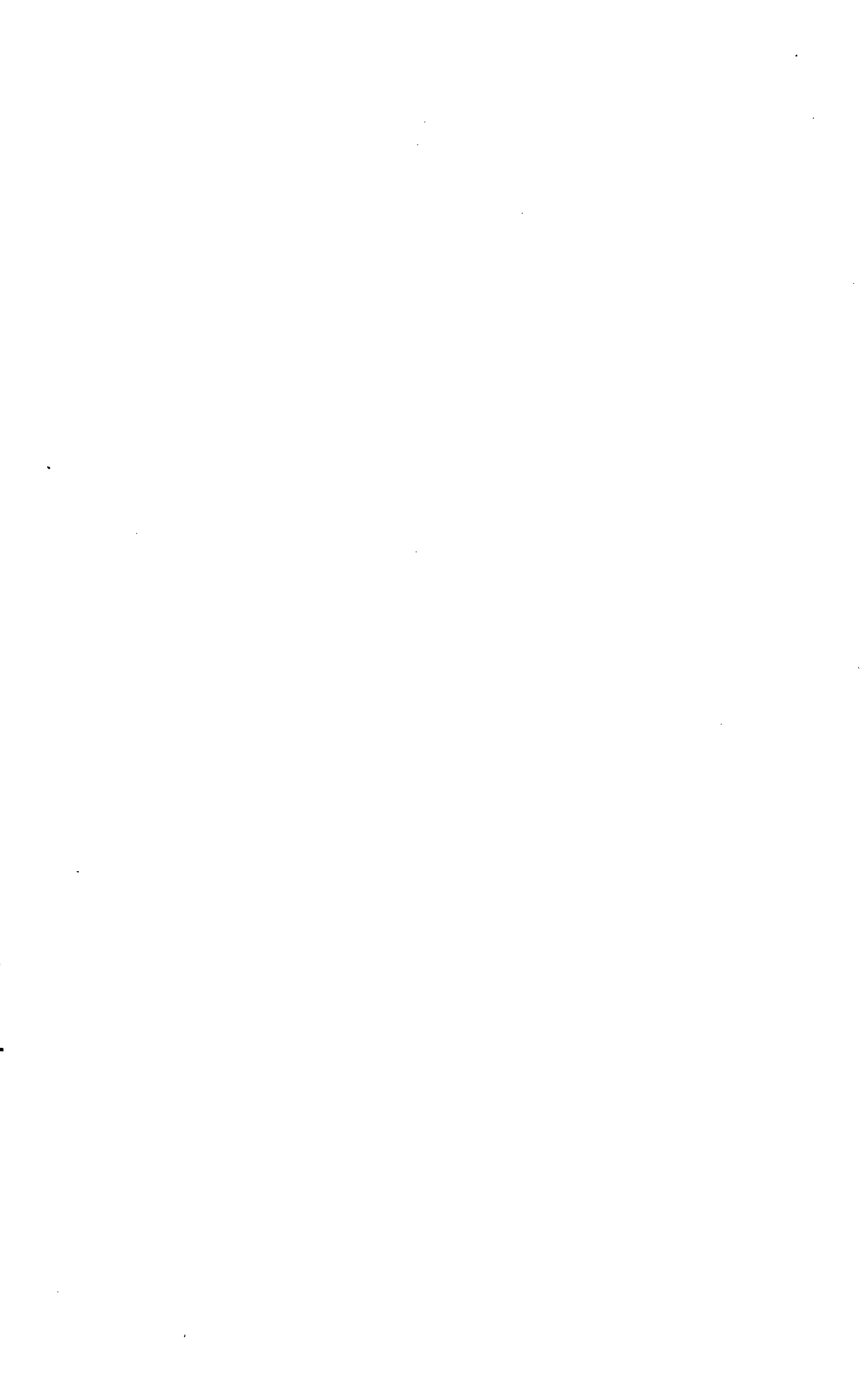
(ط) تكثيف الزيارات التي يحمل أفرادها إعانات ومساعدات فورية للمسلمين في كمبوديا وبخاصة في الأماكن النائية التي لم يزرها وفدنا وكذلك في فيتنام ولاوس.

(ي) إرسال أكبر قدر ممكن من المصاحف والكتب الإسلامية باللغة الفرنسية واللغة الكمبودية.

(ك) دعوة عدد من كبار المسلمين وأئمة المساجد والمسؤولين عن المدارس الإسلامية في كمبوديا بمعدل ٣ أشخاص في كل سنة إلى أداء فريضة الحج ضيوفاً على رابطة العالم الإسلامي، تشجيعاً لهم على مواصلة جهودهم في خدمة الدعوة، ومن أجل تعارفهم مع إخوتهم المسلمين من الحجاج.

(ل) الاتصال بوزارات الأوقاف والشؤون الثقافية في البلدان الإسلامية لإيضاح حاجات المسلمين الكمبوديين الثقافية وحثهم على مساعدتهم على مايحفظ لهم هويتهم الإسلامية، ويثقفهم في شؤون دينهم.

اليوميات الكمبودية



يوم الجمعة ٧ / ٦ / ١٤١٢هـ - ١٣ / ١٢ / ١٩٩١م

من بانكوك إلى فنوم بنه :

وصلنا مبكرين إلى مطار بانكوك لنبتاع التذاكر من هناك حيث أن الشركة الوحيدة التي تسير الرحلات مابين بانكوك و(فنوم بنه) عاصمة كمبوديا هي شركة صغيرة تسير طائرات صغيرة إسمها (بانكوك إير) وهي غير شركة تايلند العالمية المسماة اختصاراً بتاي وغير شركة تايلند الداخلية التي تسير طائرات نفاثة إلى الأقاليم المختلفة وهذه الشركة الصغيرة تنفرد بتسيير طائراتها إلى (كمبوديا) ولذلك تستغل الركاب استغلالا فاحشاً فتفرض للتذكرة من بانكوك إلى (فنوم بنه) مائتي دولار أمريكية للذهاب ومثلها للاياب مع أن المسافة بين المدينتين هي سبعمائة كيلومتر تقريباً.

كما أنها تتقاضي (١٢٠) دولاراً على سمة الدخول، وتحتكر ذلك بحيث لاتوجد جهة أخرى تمنح تلكم السمات لأنه لاسفارة لكمبوديا في تايلند ولا ممثل آخر لها، بسبب ماتراه تايلند وأكثر بلدان منظمة جنوب المحيط الهادئ من أن حكومة كمبوديا الحالية، إنما هي العوبة بيد فيتنام فهي التي نصبتها ولايزال الجيش الفيتنامي يحارب لبقائها.

وإن كانت قد تمت أخيراً مصالحة بين الأطراف المتنازعة في كمبوديا وأهمها الأمير سيهانوك وجماعته المعادون للشيوعية وحكومة (فنوم بنه) الحالية الموالية لفيتنام وهي شيوعية لكن شيوعيتها مخففة،

وجماعة (بول بوت) الشيوعية المتعصبة التي سفكت دماء الآلاف بل عشرات الألوف من أبناء الشعب الكمبودي ومنهم طائفة من الأخوة المسلمين الذين قتلوا وأبيدوا كما شردت مئات الألوف من الكمبوديين وفيهم طائفة من المسلمين كما سبق.

وذلك بعد أن تدخلت أطراف دولية عديدة لحسم الصراع الكمبودي المستمر وبعد أن تبخر تأثير الاتحاد السوفيتي على السياسة الدولية، ولأن بعض الدول المعادية للشيوعية والمستنكرة لأعمال جماعة الخمير الحمر بقيادة (بول بوت) كانت تؤيد ذلك النظام المجرم مثل تايلند والولايات المتحدة الأمريكية لا لشئ إلا لكونه يعارض فيتنام التي تريد أن تفرض نفوذها على كمبوديا من خلال نظام الجبهة الوطنية التي يرأسه (هنج سامرين) الذي أيدته بقوة السلاح.

قمنا مع طائرة شركة (بانكوك أير) من بانكوك في السابعة و٦ دقائق متأخرة عن موعدها المقرر بـ ٦ دقائق وهذا لا يعد تأخيراً.

وهي طائرة مروحية صغيرة ذات محركين تتسع لـ ٤٢ راكباً، ممتلئة بالركاب وهم على قلتهم من أجناس مختلفة من الناس فيهم ذوو المظهر الاوروبي الذين فيهم كثير من العاملين في هيئات الاغاثة الدولية وفيهم الصينيون التجار وبعض الكمبوديين المهاجرين للخارج.

ومن هؤلاء، الأخ (عبدالله موسى) وزوجته وهو مسلم كمبودي وجيه كان ضابطاً في الجيش أيام حكم لون نول رئيس وزراء كمبوديا قبل الانقلاب الشيوعي الذي قام به الخمير الحمر أي الخمر الشيوعيون في عام ١٩٧٥م وقد أصابت رجله قنبلة فقطعتها من الفخذ وهو الآن يمشي على رجل صناعية وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية منذ ذلك التاريخ.

وهو عائد الآن إلى كمبوديا بعد أن حصل الاتفاق بين الأطراف المتحاربة فيها وقد وجدته متحمساً للإسلام إلى درجة أنه كاد يبكي أو هو قد بكى وهو يتحدث عن دينه الإسلامي وكان يحمل معه صندوقاً من الورق المقوى مليئاً بالمصاحف تسحبه زوجته بيدها إلى الطائرة وقد احضراه من الولايات المتحدة إلى كمبوديا لأن أمتعتهم كثيرة ولديهم أمتعة زائدة.

وقد اطمأننا لوجوده لأنه ذكر أنه سوف يسهل لنا الاتصال بالمسلمين وسوف يساعدنا على ذلك وكان فرحنا كبيراً لذلك. لأننا لا نحمل عناوين واضحة لأي من الشخصيات المسلمة في كمبوديا واعتبرنا ذلك توفيقاً من الله تعالى لنا في بدء مهمتنا.

وكان يصحبني الشيخ على عيسى وهو موظف في الرابطة داعية إلى الله في تايلند وقد أردت صحبته لقرب كمبوديا من تايلند ولكن تبين أن معرفته بحال المسلمين فيها لاتزيد عن معرفتي ورغم ذلك أدركنا توفيق من الله تعالى بأن حصلنا على مانريده من معرفة بأحوال المسلمين ومن الاتصال بزعمائهم، والاطلاع على كثير من مساجدهم ولله الحمد. وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

نهضت هذه الطائرة الصغيرة من المطار فصارت تطير فوق أجزاء من مدينة بانكوك الواسعة التي يبلغ عدد سكانها سبعة ملايين نسمة وكأن هذه الطائرة المروحية تتمطى وهي تطير مثلما يتمطى أهل بانكوك في هذا الصباح الندي الحار كما يفعل من نام في الحر فأصبح كسلان متعباً.

وظهر شارع المطار المؤدي منه إلى المدينة وهو مفعم بالسيارات إلى درجة مزعجة ولكنه على أية حال أقل ازعاجاً من وسط بانكوك الذي تكاد تركد الحركة فيه وإن لم تركد أصوات محركات السيارات وفيها الحافلات والشاحنات وهي تختلط بمحركات العربات الركشاوية التي تقرقع وهي تسير، وتكاد تتفرقع يختلط أصوات محركاتها بأصوات أجزائها وهي تسير بالآلاف في الشارع الواحد.

ثم تجاوزت الطائرة المدينة وهي تعتدل في سيرها إلى الجهة التي تقع فيها (فنوم بنه) عاصمة كمبوديا وهي الجهة الشرقية من بانكوك.

ودخلت في جواء الريف التايلندي الندي المعمور بحقول الأرز الذي ترى بعضه مغموراً بالمياه لما يظهر منها بعد وبعضه أخضر كخضرة القمح على البعد، وبعض الأماكن متروكة تعلوها منابع المياه تجهيزاً لزراعتها إلى جانب البرك الكثيرة ذات المياه الدائمة التي تربى فيها الأسماك.

بل إن بعضهم يقول: إنهم يربون الأسماك والبط في بركة واحدة رغم كون البط يأكل صغار السمك ولكن إذا كان الماء عميقاً فإن السمك يغوص في الأسفل ويتلقى من ذرق البط الذي يكون في أعلى الماء مايتغذى به لأن هذه طبيعته ان يتغذى على مثل هذه الفضلات. وان لم تكن كافية لغذائه.

حتى وصلت الطائرة إلى ساحل خليج (سيام) فصارت تطير فوقه وهو متشعب الشواطئ بحيث ترى منه أخواراً جمع خور وهو الجزء الصغير من ماء البحر الداخل في اليابسة وألسنة الأرض الداخلة في البحر. وفيه نهر كبير يتلوى وينتهي إلى البحر فتضمحل مياهه فيه

كما تضمحل الشخوص في المنام. وتضيع كما يضيع المعروف عند اللئام.

وكل هذه الشواطئ معمورة بالزراعة عمارة كثيفة وتكثر فيها القرى غير البهيجة المنظر.

واستمرت الطائرة مساحلة فوق هذا الريف الأخضر المعمور الذي تكثر فيه القرى أكثر مما تكثر في الريف القريب من العاصمة بانكوك أو هكذا الأمر مما بدا لنا من الطائرة.

وقدموا الضيافة كأساً من عصير البرتقال غير الجيد ثم جاءوا بطعام الإفطار عليه الخنزير مطبوخاً مع أشياء لا نعرفها وليست معه خبزة ولا زبدة فتركنا الجميع. وقنعنا بكأس من الشاي الصيني الساذج. ثم لججت فوق خليج سيام فأصبحنا نرى جزراً جبلية عالية رغم صغرها.

ثم بدأت الطائرة التدني فوق أرض خضراء ولكنها ليست بهيجة، وهي جبلية ينحدر منها نهر كبير شحيح المياه حتى إنني رأيته عندما وصل السهل وقد صار رمله أكثر من مائه وان كان لايزال يجري فما شبهته إلا بالوادي الصحراوي الكبير الذي يسيل بالماء عقب مطر جود.

ثم ساهلت الطائرة نفسها أي صارت تطير فوق سهول مزروعة ولكن أكثرها جاف تبين فيما بعد أن منظر جفافه لكونه مزارع أرز حصيد، وان الفصل الآن هو فصل الجفاف لذلك تبدو الاعشاب الكثيرة من الطائرة صفراء رمادية.

ثم تجلى منظر الأرض عندما تدنت الطائرة وهي تتدلى قطعاً مزروعة ومستنقعات مياه وأراضٍي شبه جافة وماهي بجافة ولكنها متروكة من دون زرع.

وظهرت أحواض عديدة من أحواض الماء التي تربى فيها الأسماك. ولاتكون مثل هذه الأحواض إلا في بلاد مطيرة لاينزل مستوى الماء فيها.

وظهرت أحواض الأرز الغارقة بالمياه وإن لم تكن على مستوى مستنقعات الماء الواسعة.

في مطار فنوم بنه:

رأينا بقرب المطار منازل خشبية قديمة مسنمة السقوف حائكة الألوان. ومستنقعات خضر تركبها الطحالب ورأينا على البعد مما يلي المدينة عدداً من الأنهار التي أميزها من الطائرات. وتحف بمدارج المطار أعشاب كثيفة هامدة، لاخضرة فيها بسبب فصل الجفاف الذي هو فصل الشتاء الذي يعقب فصل الصيف المطير بل الغزير المطر.

هبطت الطائرة في مطار فنوم بنه في التاسعة إلا ثلثاً صباحاً بعد طيران استمر ساعة و٣٧ دقيقة وهي مروحية بطيئة السرعة.

لم نكن نحمل سمات دخول إلى كمبوديا ولكن السفير السعودي في بانكوك كان قد اتصل بالجهة المسؤلة عن منح سمات الدخول في كمبوديا وطلب منها منحي سمة لكوني أحمل جواز سفر سياسياً وللشيخ على عيسى الذي يحمل جواز سفر تايلندياً

لكونه مرافقاً ومترجماً لي فوافقوا مشكورين على ذلك واخبروه ان سمات الدخول موجودة لنا في المطار واخبروه بعنوانهم وبالهاتف الذي يمكن الاتصال به للكلام معهم إذا لزم الأمر.

ولكن أخانا الكمبودي (عبدالله موسى) أخبرنا أنه لامشكلة في سمة الدخول لأنه سوف يتولى ذلك بنفسه.

دخلنا قاعة الوصول في المطار وهي صغيرة كأبنية المطار نفسها وحتى المطار نفسه، ويكفي أن تعرف انه لاتوجد خطوط طيران وطنية كمبودية، وإنما توجد الخطوط الفيتنامية واللاووسية قد عقدت اتفاقاً مع حكومة كمبوديا على القيام برحلات معينة إلى البلدان المجاورة ولكن ليس من بينها الجار المهم (تايلند) لكونه يؤيد حكومة السفاح الشيوعي (بول بوت) وجماعته من الخمير الحمر الشيوعية. وجدنا ممثلاً للجهة الرسمية التي خابرتها السفارة السعودية وهو ينتظرنا واسمه (تشاي هنغ) فتسلم جوازينا وانهى اعطاءنا سمة دخول مجانية لي ولرفيقي الشيخ على عيسى الذي يحمل جواز سفر تايلندياً معتاداً والعلاقة بين تايلند وكمبوديا سيئة ولكنهم منحوه السمة بالمجان تكريماً لي.

وقد رأيناهم يمنحون سمة الدخول لبعض الأجانب الذين حضروا معنا في الطائرة من بانكوك في المطار ولكنهم يأخذون منهم ثمناً لها مرتفعاً بالدولارات أظنه سبعين دولاراً.

كما وجدنا ممثلة لشركة (بانكوك ايرويز) التي احضرتنا جاءت لمساعدتنا وذكرت أنها حجزت غرفتين لنا في فندق في (فنوم بنه) إلا أن أخانا المسلم (عبدالله موسى) طلب منا الا نذهب معها خشية أن

تضيف عمولة لسعر الغرفة وذكر لنا اسم فندق في وسط المدينة لنذهب إليه.

تجلت البساطة في الإجراءات وعدم التدقيق في الأمور وفي تصرفات القوم في المطار فكنا نلاحظ ان عدداً كبيراً من الناس يدخلون إلى الجزء من منطقة الوصول الذي يسبق مكاتب الجوازات ويترددون على ذلك وبعضهم يساعد الأجانب على ملء استمارات جديدة اعطونا إياها في الأرض بديلة من استمارات ملأناها بالطائرة وهي بلغتهم الكمبودية معها الانكليزية.

وقد ملأ هؤلاء الكمبوديون المكان ومنهم عسكريون بالزي العسكري وظهر من مظهرهم ومنظر سائر الكمبوديين الذين رأيناهم في المطار ولم نغير من رأينا فيهم شيئاً عندما وصلنا المدينة أنهم قصار القامة، سمر الألوان بالنسبة إلى التايلنديين ليس على مظهرهم وجاهة بمقاييسنا التي اعتدنا على أن نقيس الوجاهة بها من صباحة وجوه أو لباس أنيق أو تقاسيم منسجمة فهم في هذا الأمر أدنى من التايلنديين بمراحل الذين هم فيه دون الفيتناميين.

وأكثر مايميز الكمبوديين عدا السمرة الظاهرة بالنسبة إلى جيرانهم بروز الأفواه، واستقامة قليلة في الأنوف، وارتفاع زائد في الوجنات ونحافة ظاهرة في الأجسام. فالتايلنديون يبدون عندهم من أرباب الجمال (وياويح من يكون كذلك) كما قال أحدهم في رقة دين الجاحظ الأديب الكبير المعروف (ياويح من كفره الجاحظ).

لم نتوقف عند ضابطة الجمرك مطلقاً ثم ركبنا سيارة أجرة مع أخينا الذي عرفناه وزوجته في مطار بانكوك وهما قادمان من

الولايات المتحدة وكان ضابطاً في الجيش ويقيم في أمريكا منذ خمس عشرة سنة ويحمل جواز سفراً أمريكياً أرانا إياه.

تركنا المطار مع شارع ذي اتجاهين أحسن من شارع المطار الذي ينطلق من مطار هانوي عاصمة دولة فيتنام القوية عسكرياً التي كانت تتحكم إلى ماقبل الآن بحكومة الجبهة الوطنية الكمبودية الحاضرة وبدت بيوت قليلة ومستنقعات خضراء المياه على جانب الطريق ثم بيوت خشبية نهرية قد اسودت من طول المكث، وجوانب الطريق ترابية جافة بسبب فصل الجفاف في الوقت الحاضر.

وحتى البيوت الاسمنتية كلها مهملة من العناية والتجديد. وذلك بلاشك بسبب الصعوبات الاقتصادية الناشئة عن الحروب المتتالية التي خاضها الكمبوديون فيما بينهم منذ عام ١٩٧٥م أي منذ ربع قرن من الزمان والطابع العام على البيوت والطريق إلى المدينة هو الفقر كما بدا ذلك على الشعب الذي رأينا أكثره يركب الدراجات ولايملك إلا قليلاً من السيارات مثلما عليه الحال في هانوي عاصمة جارتهم الكبرى (فيتنام).

وتجلت طبيعة المدينة عند الوصول إليها بأنها مدينة واسعة متناثرة الأحياء، جميلة التخطيط إلا أن الاهمال كان ظاهراً على جميع مرافقها، بل على جميع أوجه الحياة فيها ويمكن أن يسمى اهمالا كما يمكن أن يسمى عجزاً من حكومتها وأهلها عن ذلك.

مدينة فنوم بنه :

يبلغ عدد سكان المدينة نفسها ثلثمائة ألف نسمة ولكنها ذات ضواح وقرى متصلة بها وكان بعضها منفصلاً عنها في القديم ويبلغ سكان المدينة مع ضواحيها والقريبة منها مليونين من جميع سكان الدولة الكمبودية البالغ عددهم سبعة ملايين نسمة.

نزلنا في فندق اختاره لنا الأخ (عبدالله موسى) وهو أحد فندقين فيها يسكنها السياح الأجانب واسمه (مونوروم) ويقع في قلب المدينة الذي كان فاخراً كما انه هو نفسه كان جيداً فاصبح رديئاً في ظلال الشيوعية وان كان الآن مملوكاً لجماعة من الصينيين أهل سنغافورة فقد باعته الحكومة فيما باعت من ممتلكات الدولة إلى التجار لعلمها بأنها لاتستطيع أن تديره إدارة ناجحة مربحة.

وقد اطلع الفندق على جوازاتنا ونقل منها الأشياء المهمة كالاسم والجنسية وتاريخه ثم أعادهما إلينا في الحال كما كان الفيتناميون يفعلونه معنا، كما أنه لم يطلب شيئاً من تقديم الأجرة مثلما كان الفيتناميون يفعلون أيضاً.

وهذه معاملة راقية تؤكد الثقة بالنزيل كما تفعل معظم الدول الأوروبية، وليس كما يفعل الأمريكيون والهنود من طلب تقديم الأجرة قبل اعطاء النزيل مفتاح الغرفة أو كما يفعل النيجيريون الذين يطلبون تقديم الأجرة ويطلبون ان يدفع النزيل معها مبلغاً يسمونه تأميناً، من أجل أن يحسم ماقد يتناوله النزيل من طعام أو شراب من الفندق.

وأجرة الغرفة فيه ٣٦ دولار أمريكياً لليلة الواحدة وغرفه واسعة في الغرفة سريران عريضان وثلاجة كبيرة قديمة ومكتبان وعدة مقاعد. و(زمزمية) وهي الوعاء الذي يحفظ فيه الماء بارداً أو حاراً بجانبها ابريق للشاي وكأسان ولكن ليس فيها ماء ولا فيما حولها سكر وشاي.

وهذه من عادة معروفة حتى الآن في الصين وهي أن يكون في الغرفة ماء حار وشاي صيني فيصنع النزيل الشاي بنفسه في غرفته بالمجان.

وهي شبيهة بعادة بريطانية لاتزال موجودة في بعض الفنادق في لندن وفي المستعمرات الانكليزية أو المواطن الانكليزية كاستراليا ونيوزيلندا وبعض جزر المحيط الهادئ.

وهو بجملته يمثل الفنادق الشيوعية العريقة لأن كل شئ فيه إذا خرب لم يجدد تجديداً كاملاً، وإنما يصلح منه مايبقيه ولايزكيه فمثلاً أحد صنابير المياه قد فسد فألغوه وتركوه والخزائن لاتغلق، وخزانة الملابس خاصة خربة.

مع أن الفندق يطل على شارع جيد فيه حديقة صغيرة تظلها أشجار من أشجار النارجيل غير النضير وفي قلب المدينة التجاري الفاخر قبل أن تستولي الشيوعية على كمبوديا ثم تشملها المنازعات والحروب.

في مطعم إسلامي :

استرحنا في الفندق لبعض الوقت ثم ذهبنا مع الأخ عبدالله موسى واثنين من اخواننا المسلمين إلى مطعم إسلامي في (فنوم بنه) وذلك في الساعة الثانية عشرة وهو أحد مطعمين لم نأكل إلا فيهما والسبب في التحرز من أكل الطعام في غير مطعم المسلمين أن أهل البلاد بغالبيتهم هم من البوذيين الذين هم ليسوا من أهل الكتاب الذين تحل ذبيحتهم.

وجدنا المطعم عليه لافتة كتب عليها بحروف عربية مايظنه من يراه بأنه باللغة العربية وهو في الحقيقة في لغة (تشامبا) التي لاتزال تكتب بالحروف العربية وهي غير اللغة الكمبودية العامة في البلاد فلغة تشامبا هي لغة المسلمين من قبيلة تشامبا التي تتألف أغلبية المسلمين في كمبوديا وفيتنام من أفرادها وتقول اللافتة بالحروف العربية:

لا إله إلا الله محمد رسول الله ، مكانن أو لنتون مسلمين . .

ومعنى مكانن : طعام بلغة تشامبا وهو كذلك بالملايوية والنتون : لأجل المسلمين أوللمسلمين.

وعليه بالعربية (المطعم للمسلمين حلال) .

ويقع في جانب من قلب المدينة التجاري يجاوره سوق شعبي أكثر الباعة فيه من النساء، كما هي العادة في أقطار جنوب آسيا الشرقي وفي الأقطار الافريقية.

أكلنا وجبة سخية فيها شربة إربيان وهو الروبيان بلغتنا العامية والجمبري بالعامية المصرية وفيها معه نوع لذيذ من الفطر، وحساء من لحم البقر فيه لحم قد قطعوه قطعاً صغيرة جداً كما هي عادتهم في عدم الإكثار من اللحم عامة. ولذلك عندما سألناهم عن لحم الغنم أجابوا: بأنه لايوجد عندهم وتبين أنهم لايعرفونه ولاتوجد الغنم في بلادهم كما لا توجد في فيتنام إلا بعض الماعز التي صارت تربى في السنين الأخيرة وفيها دجاج طازج وسمك وأرز أبيض ساذج أي لم يوضع فيه إلا الماء. واما الشراب فإنه غازي مستورد وهو الكاكولا والسفن أب وكانت الفاكهة موزاً فقط وهو الفاكهة الوحيدة المتيسرة بكثرة عندهم، وهو أنواع احضروا لنا منه أفخره عندهم وهو الصغير الرقيق القشر، اللذيذ الطعم. أما نظافة المطعم وأدواته، وثياب العاملين فيه فليست بذلك.

وكان ثمن هذه الوجبة لستة أشخاص ثمانية عشر ألفاً وثلثمائة ريال من ريالات كمبوديا التي يساوي الدولار الأمريكي الواحد ٧٦٠ منها، وإذاً تكون هذه الوجبة للجميع بنحو ٢٤ دولاراً أمريكياً وهي رخيصة بالنسبة إلى مانعرفه من أسعار الطعام في بلادنا وفي البلاد التابعة لها. إلا أنه غال بالنسبة إلى الاقطار الشيوعية في هذه المنطقة في فيتنام ولاوس فهي في فيتنام مثلاً لا تكلف إذا كانت كذلك إلا نحو ثلث هذا المبلغ وفي لاوس قد تكلف نصفه فقط.

وإعدادهم للطعام جيد وطعامهم لذيذ وهو أشبه بطعام المسلمين التايلنديين مع وجود الفوارق في ذلك.

نظرة عاجلة :

لم نطق البقاء في الفندق دون إلقاء نظرة عاجلة على قلب المدينة التجاري الذي يحيط بفندقنا (فندق مونوروم) فوجدنا أن هذه المدينة يصح أن يقال فيها ماقلته في نفسي في فندقها (عزيز قوم ذل) فهي واسعة الشوارع وشوارعها مستقيمة استقامة تامة وهي عريضة الأرصفة إلى حد كبير ولكن ارصفتها قد تكسرت إلا ما أصلحه أهله وليس الحكومة يظهر ذلك من وجود التجديد في بعض الأرصفة التي تحاذي بعض المتاجر دون بعض.

والمحلات التجارية كبيرة ولكن أكثرها لايحتوي إلا على بضائع قليلة حتى الصيدلية رأينا الأدوية التي فيها قليلة جداً. وقد عمرت هذه الأرصفة في الوقت الحاضر بمظاهر من مظاهر البؤس عديدة من ذلك منظر إمرأة ريفية بائسة تفلي صاحبة لها أي تخرج القمل من شعرها في وسط الرصيف الواسع، وامرأتان نائمتان على الرصيف احداهما ترضع طفلها من ثديها أمام الناس وهي مغمضة العينين نائمة.

وفي هذه الأرصفة جماعات من المعوقين بعضهم قد قطعت يداه أو احداهما وبعضهم قد بترت رجلاه أو احداهما، وذلك بسبب الحروب المتعددة التي خاضها الشعب الكمبودي أو لنقل خاضها زعماؤه فغرق هو في وحلها.

وأرجو ألا يفهم من ذلك ان الشعب بأكثريته يبدو كذلك ولكن المعوقين موجودون بكثرة وهذا ظاهر السبب في كثرة الحروب التي نشبت بين افراد الشعب ننذ عام ١٩٦٨م.

وهناك مظاهر كثيرة من مظاهر البؤس تتمثل في وجود أطفال صغار من صبية وبنات حفاة شبه عراة بسبب الطقس الذي لم يكن حاراً ولكنه ليس بارداً أو بسبب الفقر الظاهر على مظاهرهم. وقد كثر باعة الأطعمة الصغيرة الضئيلة وأغلب الباعة من النساء مما ذكرني بأهل تايلند التي تمتلئ أرصفتها بالنساء اللائي يبعن الأطعمة القليلة فيها إلا أن هؤلاء البائعات الكمبوديات يظهر عليهن شظف العيش، وقلة المساحيق والزينة إلى جانب مابين التايلنديات والكمبوديات من فروق في مستوى الجمال، وفي مستوى المعيشة واللباس فالتايلانديات أحسن في هذا الأمر من الكمبوديات.

والأطعمة اللاتي يبعنها وكذلك الفاكهة المحلية كالموز ونوع معين ضخم من النارينج أو (القريب فروت) يحوم فوقها الذباب، ويتسرب الماء من بعض الأماكن إلى الرصيف.

والشحاذون موجودون بكثرة وبعض الأطفال يلحون على الأجانب الذين لايخفون على أحد لمخالفتهم في المظهر للمواطنين الكمبوديين وبخاصة إذا كان السائح مثلي يحمل مصورته بيده.

والدراجات مابين تجارية وهوائية هي التي تسير في شوارع المدينة أكثر من السيارات التي هي قليلة جداً كفيتنام وليست كلاوس التي تكثر السيارات في شوارعها.

وقلة السيارات وكثرة الدراجات أمر عرفته في البلدان الشيوعية من أوروبية وآسيوية ولايماثلها في ذلك من بلدان غير شيوعية إلا عواصم الولايات الهندية.

وعربات الركشا التي يسيرها الرجل بقدميه وينقل الناس عليها بالأجرة موجودة بكثرة وهي الأصل في الانتقال بل إنها هي الوسيلة الوحيدة التي تقوم مقام سيارات الأجرة في البلدان الحرة كبلادنا. أما سيارات الأجرة التي كتبت عليها كلمة (تاكسي) فإنها غير موجودة وإنما يستطيع المرء أن يستأجر سيارة خاصة بمثابة (التاكسي).

دراجة الركشا هذه هوائية لا محرك لها تحملها عجلات ثلاث اثنتان منها أمامية فوقها كرسي مخصص لراكب واحد، وعجلة خلفية قد ركب فوقها صاحبها وهو يدفعها بقدميه.

وليست كدراجات الركشا في الهند وبنغلاديش التي يكون مكان الركوب فيها عريضاً يتسع لشخصين ولا هي كدراجة الركشا التي تستعمل في مدينة كلكتا في الهند ويسحبها صاحبها وهو ماشٍ على الأرض، وقد تربع مستأجرها فوقها والرجل يجاهد في سحبها وبخاصة إذا وصل إلى مكان مرتفع.

وقد ذكرني منظر هذه الدراجات الركشاوية بمثيلات لها في فيتنام حيث تستعمل هناك بكثرة كما ذكرني منظرها بكثرة بما سميته فيضان الدراجات في شوارع المدن الفيتنامية وهذه لكثرة السكان في تلك المدن، وعدم قدرتهم على شراء السيارات.

اللغة :

أما اللافتات فإنها كلها بلغتهم التي تشبه كتابتها كتابة اللغة التايلندية كما تبدو لمن لا يعرف اللغتين وإلا فإنها مختلفة عن التايلندية في الكتابة كما أنها مختلفة عنها في النطق وفي المعاني ولايستطيع من لا يعرف غيرها أن يتفاهم مع من لايعرف إلا التايلندية.

كما أن جرس الكلمات واخراجها من الفم لايشبه جرس اللغة التايلندية.

والعجب ان اللغة الفيتنامية وهي لغة فريدة ليست لها علاقة بأية لغة أخرى أقرب في جرس اللفظ وفي وقع الكلمات في أذن الغريب إلى التايلندية أكثر من الكمبودية في هذا الأمر رغم قرب كمبوديا من تايلند وبعد فيتنام عنها بعداً نسبياً.

وقد طابت لنا الجولة في هذه الشوارع، التي تلفها الغرابة سواء بالنسبة إلى الناس أو مايستعملونه من أدوات ومايلبسونه من ملابس مهلهلة على بعضهم إن لم نقل على أكثرهم.

إلا أن الذي لاحظناه على القوم هذا اليوم وفي الأيام التي تلته يدل على طبيعة أصيلة فيهم، وعلى حسن معاملة الغريب حتى إن الابتسامة حاضرة على الشفاه رغم قسوة الحياة عليهم لاسيما إذا قيسوا في هذا الأمر بجيرانهم التايلنديين الذين يكاد المرء يسارع بأن الابتسامات قد غابت عن شفاههم رغم تحسن حالتهم الاقتصادية

وارتفاع الدخل عندهم عما كان عليه من قبل.

وقد امتلأت الشوارع بالمارة وبالدراجات وعجبت لكثرة الخارجين من السينما في هذه المنطقة. حتى لقد بدا لي الأمر وكأنما هذه البلاد المنكوبة بالحروب الأهلية المتصلة لاتشكو حرباً ولايلفها الشقاء والبؤس.

وكثرة المارة أو زحامهم في البلدان الشيوعية أمر عرفته منها من قبل بالمشاهدة وأرجعت سببه إلى ضيق المنازل، وعدم وجود وسائل الراحة فيها.

النظر إلى الغريب :

ومن الطريف في الحديث عن نظرتهم إلى الغريب إن سائرهم ينظرون إلى الغريب مثلنا نظرات كلها فضول وتركيز في النظر كما تفعل الفيتناميات في مدينة هوشي منه (سايقون سابقا) فترى الواحدة وبخاصة الجميلات منهن، وجمالهن نسبي تثبت عينيها في الواحد منا، حتى يبتعد عنها ولاتبخل بابتسامة يظهر انها تجبر عليها في بعض الأحيان أي أنها ابتسامة غير مصطنعة وإنما مبعثها النظر إلى شئ غريب.

ورأيتهن أيضاً يصعدن النظر ويخفضنه ممايدل على أنهن يتأملن الثياب أيضاً، وثيابنا هي الثياب العالمية المسماة بالافرنجية، ولكنها أحسن من الثياب التي يستعملها العامة منهم بكثير.

كثرة الأطفال :

لاحظت كثرة غريبة في عدد الأطفال في شوارع هذه المدينة وارصفتها حتى إنني رأيت جماعات منهم من البنين والبنات يلعبون في الأرصفة العريضة أمام المحلات التجارية، ولم أر لكثرتهم مثيلاً فيما رأيته من بلاد الهند الصينية كلها.

وربما كان هذا متمشياً مع القاعدة المعروفة أو لنقل السنة السائرة من السنن الكونية وهي أن الشعب الذي يكثر القتل في أفراده تكثر المواليد فيه من أجل التعويض عمن يقتلون وذلك ظاهر في أزمان الحروب في حالات عديدة لشعوب مختلفة ليس هذا مكان بيانها.

وأكثر الأطفال من الجنسين قد تخففوا من اللباس، فليس عليهم إلا مايستر العورة المغلظة مثلهم في ذلك مثل بعض الرجال العاملين في الأعمال اليدوية.

وذلك ناشئ إلى جانب العوز عن طبيعة بلادهم التي لاتشهد شتاء بارداً كما هي عليه الحال الآن ونحن في شهر ديسمبر شهر اشتداد البرد. ومع ذلك لايستغنى المرء عن إدارة المروحة واشعال المكيف في الغرفة إلا إذا فتح النافذة وبقي في تيار الهواء، إن كان هواؤها جافاً نوعاً ما خالياً من الرطوبة الثقيلة في هذا الفصل غير الممطر عندهم.

جنس خاص :

يصح أن يقال في هؤلاء القوم الكمبوديين ماقيل في الفيتناميين وهي أنهم جنس خاص من الناس أو لنقل بتعبير أسلافنا العرب إنهم جيل من الناس لهم صفات خاصة بهم، والمراد بذلك الصفات المظهرية.

فهم في مظهرهم العام وسط مابين التايلنديين والاندونسيين وذلك فيما تراه العين منهم إذ يصح أن يقال إنهم فصيلة من الجنس الملايوي وان يكن الآن بعيداً عن الماليزيين في المظهر واللغة والديانة. كما يصح مثل هذا القول في التايلنديين الذين هم بعيدون أيضاً عن الشعب الماليزي فيما ذكرناه.

والخصائص المظهرية البارزة فيهم أكثر من الاندونيسيين والتايلنديين هي سمرة ظاهرة فيهم وبروز واضح في شفاههم، ونتوء وجناتهم يكاد يكون عاماً فيهم وهو حقيقي في أكثرهم. إلا أن عيونهم بالنسبة إلى وجوههم هي أكثر اتساعاً من عيون الصينيين بالنسبة إلى وجوههم. ويغلب القصر عليهم حتى بالنسبة إلى التايلنديين المعروفين بهذا الأمر.

ولا يرى المرء على وجوههم مسحة الصرامة والجد كما يبدو ذلك على وجوه الفيتناميين الشماليين أو هذا هو مارأيته منهم. وقد ذكرت ذلك في كتاب «أيام في فيتنام».

ومن الأشياء التي تكررت رؤيتها أشياء لايتناسب وجودها مع

الأماكن التي رأيتها فيها فمثلاً على رصيف عريض من هذا الحي التجاري الذي كان راقياً رأيت بائعة فحم قد كومته كومات صغيرة وهي تبيعه للناس وحوله مايتبدد منه ويتناثر في الأرض من رماد، ومياه ساربة سوداء من أنبوبة نازلة من أحد البيوت فوق المتاجر وقد لوثت الرصيف بمائها الخبيث وغيرت لونه إلى سواد.

ولكن كل ذلك لم ينفرني من السير فيه، بل إنني أكثرت من السير في هذه الشوارع الفاخرة، وذلك لما لمسته في عيون الناس وابتساماتهم من ود ومن قلوب مفتوحة.

وبعد غروب الشمس حضر إلينا في الفندق جماعة من الإخوة المسلمين الذين سمعوا بوجودنا وجاءوا يسلمون إلا أنهم لايتكلمون، لأن حاجز اللغة بيننا كان كثيفاً فهم لايعرفون اللغات التي نحسنها وهي العربية والانكليزية والتايلندية التي يحسنها رفيقي الشيخ علي عيسى.

إلا ماكان من أمر بعض أئمة المساجد الذين يعصرون أذهانهم يبحثون عما يكون قد اختزن فيها من كلمات عربية تخرج من أفواههم متغيرة من ناحية اللفظ والمعنى لأنهم يضعونها في جمل لم يتعودوا على النطق بها. فتراهم يحاولون قسر السنتهم، بل افواههم على النطق بها قسراً.

وإذا اجبناهم بالعربية يظلون فترة قبل أن يقولوا نعم، وان كانت (نعم) هذه لا تدل على أنهم فهموا ماقلناه لهم حق الفهم كما ظهر لي ذلك من حالهم فيما بعد.

ومن أولئك الشيخ اشعري حسن ذكر انه تعلم العربية في فيتنام ثم عاد إلى هذه البلاد وأنه يدرس في مدرسة إسلامية ملحقة بالمسجد الجامع في كيلو (٧).

ففرحنا بوجوده لأنه أول شخص لقيناه من أهل البلاد يتكلم العربية وواعدناه غداً ليصحبنا على جولة بالسيارة في مدينة (فنوم بنه) فوافق على ذلك، وذكر انه موظف في البريد وانه سوف يستأذن من رئيسه في ترك العمل ضحى الغد.

يوم السبت ١٤ / ١٢ / ١٩٩١م :

فيضان الدراجات :

كان الافطار اليوم في شرفة مطعم الفندق الذي يقع فوق الطابق السادس ويشرف على مناطق جيدة من مدينة (فنوم بنه) كما ترى منه بحيرة جميلة في ضاحية من ضواحي المدينة.

وأغرب مايشاهده المرء منه وهو يتناول طعام الافطار الألوف المؤلفة من الدراجات التي تمتلئ بها الشوارع تحته يمتطيها المواطنون وهم يذهبون إلى أعمالهم في هذا الصباح.

ويتألف أكثرها من دراجات نارية أما الدراجات الهوائية فإنها أقل من النارية وإذا أغلقت إشارة المرور في الشارع تألف منها منظر غريب إذ ترى المئات متراصة بعضها إلى جانب بعض في صفوف عدة حتى إذا فتحت الاشارة اندفعت كما يندفع السيل الذي فتح مجراه. وينطلق النسيم رقراقاً في هذه الشرفة بجفافه ونقائه حيث لا تلوث

السيارات هواء العاصمة لقلتها فيها اجباراً لا اختياراً وإلا فإن السيارات القليلة التي تمر بها تتألف من نوعين احدهما سيارات صغيرة جيدة يملكها المهاجرون الذين احضروها أو احضروا أثمانها من مهاجرهم في أوروبا أو أمريكا والثانية من سيارات الشحن والحافلات وهي قوية سيئة المظهر وبعضها مهلهل.

ومع ذلك رأيت طائفة من الناس متكدسين على ظهر احدى سيارات الشحن هذه وهم مابين رجال ونساء ولاشك في أنهم ذاهبون إلى أعمالهم التي أقل مافيها أعمال البناء والتشييد للفقر الشديد، والاضطراب الذي يسود البلاد من سنين طويلة بسبب الحروب الأهلية المتواصلة التي لابد من التنويه هنا بأنها انتهت سياسياً قبل فترة قصيرة هي أكثر من شهر بقليل حيث تمت المصالحة أو لنقل إيقاف النزاع والاقتتال بين الفئات الرئيسية المتقاتلة على الصلح واجراء الانتخابات في عام ١٩٩٣م المقبل، وعاد الأمير سيهانوك الرئيس السابق لكمبوديا إلى البلاد.

ويذكر هنا ان اليوم هو السبت والناس ذاهبون إلى أعمالهم فيه لأنه يوم عمل هنا وإنما تقتصر العطلة الأسبوعية على يوم الأحد.

وإلى جانب هذا المنظر الأنيق ذي الهواء العليل في موقع مشرف على شوارع المدينة التي تموج بالدراجات وابنيتها التي تشكو الاهمال وسوء الحال بعد أن ذهب من أهلها المال وآل بهم المآل، إلى شيوعية حقاً، صحبتها حالة شقاق خرقاء.

فإن الحديث عن طعام الإفطار يستحق أن يذكر في هذا المجال لا لغرابته، ولكن لغرابة ثمنه فثمنه الذي لو تضاعف عشر مرات لكان

رخيصاً لهذه الجلسة الجميلة الأنيقة فقد كان خبزاً جيداً حاراً ومربى مكشوفاً وزبدة مكشوفة أيضاً، أي أنهما غير مغلفين ومعها كأس من الشاي الصيني الساذج وهو الذي يكون أصفر اللون ولايقربه السكر كل ذلك بـ ٤٥٠ ريالاً كمبودياً وقد صرفنا الدولار الأمريكي الواحد بـ ٧٦٠ ريالاً أمس. فيكون ثمنه أقل من ثلثي دولار أمريكي ويساوي ذلك ريالين ونصفاً من ريالاتنا السعودية.

جولة في مدينة فنوم بنه :

حضر إلينا الأخ أشعري بن حسن ليصحبنا في جولة على المدينة لكونه يعرف العربية فيشرح لنا مايحتاج منها إلى شرح كما أملنا ذلك منه. وقد استأجرنا سيارة من أحد المسلمين واسمه : خونغ بانغ وطلبنا منه بوساطة الأخ اشعري بن حسن أن يذهب بنا إلى مكتب خطوط فيتنام الجوية من أجل الحجز معها إلى بانكوك عن طريق مدينة هوشي منه الفيتنامية فأخذ عنوان الشركة من موظف في فندقنا.

وانطلقنا بالسيارة مع شوارع (فنوم بنه) الواسعة التي لم يبق من جودتها إلا الأرصفة العريضة. أما بقية ماكانت عليه من الجودة فقد محته الأيام بل الأعوام.

وأهم ماتتميز به هذه الشوارع الواسعة ذات الأرصفة العريضة وجود بسطات وهي البضائع الصغيرة المنشورة على الأرض أو المرفوعة فوق عربات تدفع باليد أو فوق منصات من الخشب ترفع باليد أيضاً. وعليها البضائع الصغيرة تبيعها بائعات بائسات أهم مايتميزن به القناعة والصبر.

ومررنا بسوق أي بناء ممتاز على طراز فريد يسمى السوق الجديد ولكنه خلَقٌ مع الزمن ولم ندخله وإنما رأينا ظاهره قد عرضت فيه بضائع من الأواني المعدنية إلى الملابس الرخيصة وأكثرها معتاد في مظهره وصناعته وليس كما عليه الحال في مدينة (هانوي) عاصمة فيتنام حيث وجدنا أكثر الأشياء فيها له طابعه الخاص المستوحى من ظروف الحرب ومن تقاليد الشعب.

واسم سائق السيارة الإسلامي يحيى بن حسين وهو من أهل تشامبا الذين إذا رأيتهم لم تشك في أنهم من الأندونيسيين.

وهناك خلاف عريض بين الباحثين في أن أهل تشامبا أصلهم من أندونيسيا وبلاد الملايو أم أن طائفة من أهل اندونيسيا وماليزيا كانوا كلهم من منطقة تشامبا هذه التي تقع على الحدود مابين كمبوديا وفيتنام الجنوبية هاجروا منذ أزمان سحيقة إلى اندونيسيا وماليزيا واستقروا هناك. ولذلك يوجد شبه كبير بين لغة تشامبا واللغة الجاوية التي هي إحدى اللغات الرئيسية المستعملة في اندونيسيا وهي غير اللغة الاندونيسية الرسمية العامة الآن في اندونيسيا.

على ضفة النهر:

مررنا بنهر ضخم لايقل عرضه عن عرض نهر النيل الكبير في القاهرة فظنناه نهر الميكونغ لما نعرفه من كونه يمر بلاوس وكمبوديا وفيتنام إلى أن ينتهي به المطاف في خليج سيام فأجابا أن نعم، وذلك لعدم معرفة الأخ اشعري بالعربية فأوقفنا السيارة على شاطئ النهر والتقطنا صوراً هناك.

ثم تبين لنا بعد ذلك انه نهر (ساب) وان نهر (الميكونغ) يجري خلفه حيث يلتقيان بعد مسافة قريبة مع نهرين آخرين كبيرين عند ضاحية من ضواحي هذه المدينة المحظوظة بوجود أربعة أنهار كبيرة قربها وان تكن سيئة الحظ بتفكير أهلها الذين جلبوا لها الخراب باتصال الاقتتال والاحتراب.

قصر سيهانوك :

الأمير نوردوم سيهانوك اشتهر عندنا في البلدان العربية قبل مايزيد على ثلاثين سنة بكونه أحد أقطاب حركة عدم الانحياز، التي كان الرئيس المصري جمال عبدالناصر أحد أقطابها مع نهرو رئيس وزراء الهند، وتيتو رئيس جمهورية يوغسلافيا.

وقد حرصت وسائل الإعلام العربية على إظهار اسمه امعاناً منها في الانتصار للحركة المذكورة حتى صار اسمه مجلجلاً في ذلك التاريخ.

اشار المرافقان إلى قصر ضخم غريب المظهر قائلين إنه قصر (سيهانوك) وهو أحمر الطلاء ذو ابراج عالية في وسطه تشبه قباب بعض المعابد البوذية في كمبوديا التي تتميز بوجود أبراج دقيقة في أعاليها من دون أن يخرجها ذلك عن المظهر العام للمعابد البوذية الذي يشبه المحقن المقلوب، وتركب أسواره الممتدة شرفات بيض غريبة الطراز.

فهو يمتاز بطراز غريب من البناء ويقع أمامه ميدان كان يجتمع فيه الناس في المناسبات فيخطب فيهم سيهانوك ويحضر ذلك الاجتماع عشرات الألوف منهم.

ويقع الميدان على ضفة نهر (ساب) يفصله عنها شارع الشاطئ أو (الكورنيش) كما صار يعرف عند العامة في مصر.

والشارع في هذه النقطة التي تقابل قصر سيهانوك مجمل معتنى به، فيه مقاعد حجرية يقصده الناس في الأمسيات للنزهة والاستمتاع بنسمات النهر الواسع نهر (ساب) أما أكثر الشاطئ فإنه مهمل وبعضه تظهر عليه آثار العناية المفقودة في الوقت الحاضر.

ومن تجميل شارع الشاطئ أنهم غرسوا عليه أشجاراً من أشجار النارجيل الذي يكثر في هذه المدينة بل هو أكثر الأشجار ظهوراً في شوارعها المعتنى بها، وبعض الشوارع داخل المدينة يبدو متصلاً بعضه ببعض في منظر يشبه منظر النخيل في بلادنا لولا المظهر النحيل للنارجيل.

ميدان التحرير:

دخلنا في منطقة جميلة معتنى بها منذ أن وصلنا منطقة القصر حتى وصلنا إلى ميدان التحرير الذي هو قريب منها وهو ميدان واسع مستطيل قد جملوه بالعناية بأرصفة الشوارع المحيطة به، وغرس أشجار النارجيل المتسقة فيه وبعض الحشائش والزهور في بقع مزروعة منه.

وينتصب فيه نصب شامخ ذكروا انه أقيم تكريماً لذكرى أبطال التحرير الذي يقصد به تحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي.

وهذا النصب غريب لأنه مبني على الطراز الهندوسي الكمبودي وهو مطلي باللون الأحمر الذي هو اللون المفضل للأبنية المحترمة في هذه البلاد.

ومن ميدان التحرير انطلقنا مع شارع مستقيم ترفرف عليه أشجار النارجيل بعسبها- جمع عسيب- الريانة وفروعها المثقلة بها وبخوصها الوافرة وبثمارها من جوز الهند الشهير الذي يكثر في هذه البلاد ذات المناخ القريب من الاستوائي.

وتسير في هذه الشوارع الجيدة دراجات الركشا التي تدل على التخلف والدراجات النارية والهوائية التي يدل استعمالها بديلة عن السيارات على العوز وقلة الدخل في البلاد.

ومررنا ببيت (بول بوت) الرئيس الشيوعي الذي حكم البلاد بعصاباته الشيوعية المتعصبة من عام ١٩٧٥م حتى عام ١٩٧٩م حيث ثار عليه الشعب وأيدته فيتنام فخرج من هذه المدينة مذموماً مدحوراً وصار لاجئاً مع اللاجئين في حدود كمبوديا مع تايلند التي حمته وأيدته رغم جرائمه وجماعاته الخمير الحمر نكاية بفيتنام التي أيدت حكومة الجبهة الوطنية التي يرأسها الرئيس الحالي لكمبوديا هنج سامرين ومعارضة لإرسال فيتنام عدداً ضخماً من جنودها إلى كمبوديا لدعم الجبهة الوطنية ضد (بول بوت) وجماعاته من الخمير الحمر الذين تؤيدهم الصين عدو فيتنام وأشار المرافقان باهتمام إلى بيت لايبدو فاخراً متميزاً وقالا كان بول بوت نازلاً في هذا البيت

وكانت طوائف الشعب ترميه بالحجارة وقوات الجبهة الوطنية ترميه بالسلاح حتى هرب إلى الحدود.

جامع فنوم بنه :

كان الهدف بعد ذلك هو مكتب الخطوط الفيتنامية لمعرفة مواعيد رحلاتها والحجز معها من (فنوم بنه) إلى (هوشي منه) ثم بانكوك بعد انتهاء مهمتنا في كمبوديا، ولكن الذين معنا لم يهتدوا إلى مكتبها فقصدنا (المسجد الجامع) في فنوم بنه.

ويقع في الجزء الحديث من مدينة فنوم بنه القديمة أي التي لا تشمل ضواحيها. لأن ضواحي المدينة والقرى المحيطة بها هي التي كانت عمارة المدينة قد اتصلت بها أو كادت في عهد الإزدهار.



[جامع فنوم بنه]

وهو في حي (دول تبونغ) فلم نر له منارة ولاقبة إلا قبة رمزية صغيرة في مقدمة سطحه. وهو أبيض الطلاء ومع ذلك يدل مظهره على الحاجة والعوز مع غنانا نحن المسلمين في العالم الذي يمكننا من أن نجعله هو وأمثاله من أزهى المباني منظراً وأحسنها مخبراً.

وحسن المنظر للمساجد مطلوب في بلاد الأقليات أكثر مماهو مطلوب في بلاد الأكثريات المسلمة لأن غير المسلمين كثيراً مايقيسون قوة الدين أو حتى حقيقته بمظهر أهله ومؤسساته.

وجدنا في المسجد إمامه الشيخ محمد بن حسن من قبيلة تشامبا وان شئت الدقة قلت: إنه من تشامبا ولم تذكر القبيلة لأن تشامبا قبيل من الناس أو جماعة وليس قبيلة وكان حضورنا إلى المسجد من غير علم منه إذ لم يكن مبنياً على موعد سابق.

وجدناه يتكلم العربية بصعوبة ويفهم مانقوله بصعوبة أيضاً رغم كونه تعلم في الأزهر الشريف مدة خمس سنين ولم يكمل تعليمه بمعنى انه لم يحصل على شهادة جامعية.

فقد بعد عهده بالعربية وأهلها وران على سمعه الكلام الأعجمي هنا حتى صار الكلام العربي لا يجد فيها مساغاً إلا بصعوبة.

تجولنا معه في المسجد وداخله لاتستحق رؤيته أن توصف بالتجوال لأنه غير واسع بل هو متوسط ولكن له فناء واسع، بل أفنية واسعة منها حديقة في الشمال منه فيها مقابر قديمة وحديقة جنوبه تحيط بها مساكن خشبية رثة مرفوعة عن الأرض بأخشاب وهي للمسلمين رأينا منهم امرأتين تطلعتا إلى منظر هؤلاء الغرباء الذين

لاتخفى غربتهم على أحد في هذه البلاد لطول قاماتهم بالنسبة إلى قصر قامات أهل البلاد، وبمباينتهم في تقاسيم الوجوه بل وفي جميع الملامح لهم وقد حاولت ان أصور اطلالتهما من النافذة لأن حالة المنزل ونزلائه تستحق التصوير لكنهما انكمشنا في البيت فخلتْ النافذة.

وجدنا فراش المسجد حصراً مطوية في جانبيه لأن الوقت ليس وقت صلاة ولكنها تدل على الحاجة والعوز فهي حصر من خوص النارجيل ومع ذلك هي قديمة، ولكن بلاطه الأخضر القديم يعوض النظر عن منظر فراشه الردئ.

ذلك بأن بلاط المسجد جيد كبنائه وقد قام عليه اخوتنا من مسلمي الهند الذين كانوا موجودين في هذه البلاد تجاراً ومقيمين ولكنهم غادروها بعد أن استولى عليها الشيوعيون ثم استولى عليها الاقتتال والاحتراب فتعطلت أكثر وسائل الاكتساب.

وذكر الإمام أن تاريخ بناء المسجد يمتد إلى سبعين عاماً وهذا ظاهر من قدم البناء ومن طرازه. وليس للمسجد منارة وليست فيه قبة كالتي تكون في المساجد كما قدمت. ويحتاج المسجد إلى المرافق العامة وبيت الامام.

وقد ذكر الامام محمد بن حسن انه لايتقاضى راتباً محدداً عن امامة المسجد مع ان له عشرة أولاد خمس بنات وخمسة أبناء كما يقول.

كما ذكر أن المسلمين في السابق أي قبل أن يستولى الشيوعيون على الحكم في فيتنام كانوا مائة أسرة يترددون على المسجد فيهم من

تشامبا وفيهم من أهل الهند وباكستان والآن لايزيد عدد المسلمين على ٤٠ أسرة.

ويسمى هذا المسجد بالجامع لأنه الجامع الوحيد داخل مدينة (فنوم بنه) نفسها.

ذكر الامام أن عدد المصلين يوم الجمعة يتراوح مابين ٤٠ و ٥٠ مصلياً وفي الأوقات المعتادة لغير صلاة الجمعة من ٦ إلى ٨ مصلين.

ونوه الامام بأن عدد المساجد في كمبوديا يبلغ ١٨٠ مسجداً.

ومن المرافق الموجودة في فناء المسجد بئر يستقون منها الماء رأينا عليها الدلو وعمقها نحو ٥ أمتار، مما يدل على أن أنابيب المياه لم تصل إليهم لأنهم لايزالون يأخذون منها الماء رغم مقادير المياه الضخمة في الأنهار وغيرها التي تحيط بالعاصمة (فنوم بنه) كما سيأتي.

وفي مدخله شجرتا زهور من التي تسمى بالجهنمية مزهرة.

وعلى وجه العموم فإن وضع المسجد وحال إمامه الأخ محمد ابن حسن محزنة لأنها تدل على الحاجة والعوز وتدل على أننا نحن المسلمين القادرين لم نمد يد المساعدة إليهم.

وقد وضعت في برنامجي مساعدتهم في المستقبل إن شاء الله ولكنني الآن أتكلم على الواقع الحالي على أن ذلك لايعفينا وأمثالنا من القادرين على مساعدتهم من المسؤولية في الماضي لأنه من الواجب المفترض أن نقوم به بأن نزورهم أو نتفقد أحوالهم.

وما شبهت حالته وحالة مسجده ومايحيط به إلا بعربيته التي لم يكن يحسن منها كثيراً ونسي أكثره أو بعد عن ذهنه من طول ما هجره ومن قلة من يستعمله معه.

وذكر الإمام انه ليس له راتب ثابت مقرر وإنما يأخذ مايتيسر من الإخوة المسلمين على ان مستوى الرواتب منخفض جداً فمثلاً الأخ اشعري حسن ذكر لنا ان راتبه هو عشرة آلاف ريال كمبودي وعملتهم هي الريال ومعلوم ان الدولار يصرف بـ ٧٦٠ ريالاً كمبودياً فيكون راتبه يعادل خمسة عشر دولاراً في الشهر مع أنه موظف حكومي يعمل في البريد فكيف بهذا الأخ الذي ليس له راتب ثابت.

ثم عدنا إلى الفندق قاطعين جولتنا التي بدأناها لأننا لم نجد عند مرافقينا ما أملناه من تمكيننا من الإطلاع على المساجد وشرح حالها، ومايحيط بها من ظروف.

فسلكنا شوارع من شوارع مدينة (فنوم بنه) الواسعة لم نكن قد مررنا بها من قبل ورأينا الشعب فيها كمبوديا أصيلاً بائساً ولكن توجد قلة من الناس أكثرها عليه ملامح صينية يظهر منهم أن حالتهم جيدة من حيث اللباس ومن التمتع بالحياة المناسبة.

كما أن هناك قلة أيضاً من الناس عليهم مظاهر الفقر والعوز الشديد وأغلبهم شديدو السمرة ذوو ملابس مهلهلة يظهر انهم قادمون من الأرياف البعيدة.

إبراهيم بن آدم :

عدنا إلى الفندق لأنه لابرنامج لدينا بسبب عدم ارتياحنا إلى معرفة الذين معنا بأمور المساجد خاصة وبأمور البلاد عامة، وماشعرت إلا بشخص يطرق باب الغرفة، وكان قد طرقه قبله أناس لايعرفون

العربية ولاغيرها مما يمكن من التفاهم معهم فظننته مثلهم فتركته حتى ألح في قرع الباب ففتحته مغضباً وإذا بشخص يقول قبل أن أسأله عن اسمه (أنا إبراهيم بن آدم) ولم أكن سمعت به من قبل، فقلت: وحتى لو كنت تنتسب إلى أعلى من آدم ان استطعت أن تصل إلى أعلى منه- أذهب إلى غرفة رفيقي الشيخ على عيسى وكان قد استعد لمقابلة الذين لاشغل لهم من الإخوة المسلمين الذين يراجعوننا.

فقال بعربية جيدة أنا جئت من أجلكم فأدخلته وجلست معه وتبين لي بعد ذلك أنه الشخص المطلوب الذي أبحث عنه فهو يعرف العربية جيداً وبخاصة العربية الحديثة التي لم يكن الشيخ محمد يوسف الذي تولى الترجمة لنا في مدينة (هوشي منه) في فيتنام يعرف شيئاً منها ولايستعمل إلا الكلمات والجمل القديمة، لأنه تعلم العربية في فيتنام على المشايخ ثم حج في عام ١٣٦٩هـ.

ويعمل الأخ إبراهيم آدم في الجبهة الوطنية التأسيسية للدفاع الوطني وهي الجبهة الحاكمة في البلاد التي يرأسها (سامرين) رئيس الدولة الحالي، وتضم طوائف البلاد المختلفة ومنهم المسلمون وأخبرني الأخ إبراهيم وغيره بعد ذلك أن أكثرية الأعضاء فيها هم حسب أكثرية الطوائف في البلاد الذين هم البوذيون ويمثلون أكثرية السكان ثم بعدهم المسلمون ثم النصارى فهم أقل عدداً في الجبهة من المسلمين.

وهو موظف رسمي في الجبهة المذكورة.

وذكروا لي بهذه المناسبة ان معظم المسيحيين يقيمون في العاصمة فنوم بنه، وان كثيراً منهم من الفيتناميين الذين جاءوا إلى هذه

البلاد وفيهم كمبوديون أصلاء ولكن عددهم قليل.

وقد اتفقت مع الأخ ابراهيم آدم على أن يرافقنا إلى مانريد وحددنا موعداً لابتداء ذلك كما قال انه سوف يصلنا بزعماء المسلمين العاملين في الدولة مثل نائب رئيس البرلمان ونائب وزير شؤون رئاسة مجلس الوزراء ثم انصرف.

وفي المطعم الإسلامي الوحيد الذي صرنا نعتاده في (فنوم بنه) وجدنا الأخ الشيخ يعقوب بن هارون وهو من العاملين في الجبهة الوطنية وإمام مسجد وصاحب مدرسة إسلامية صغيرة (كتاب) ويعرف قدراً من العربية لأنه أمضى ٦ سنوات من عمره في مكة المكرمة كما قال من أجل طلب العلم، ولكنه لم يعد يستعمل العربية في بلاده، فصار يصعب عليه التحدث بها وفهمها بسرعة.

مواصلة الجولة في فنوم بنه :

معنى اسمها : جبل بن في الأصل، فنوم: جبل في اللغة الكمبودية وبن: اسم شخص. ويبلغ عدد سكانها ثلثمائة ألف نسمة. منهم ١٣ ألف مسلم فيها وفيما حولها من الضواحي.

سألتهم عن التنظيم الجميل بل العظيم الذي عليه المدينة من الذي قام به فذكروا أنه الأمير سيهانوك الذي كان رئيس الدولة في عهد الاستقلال قبل الانقلاب الشيوعي وكان الأمير سيهانوك- كما هو معروف في ذلك العهد- من زعماء دول عدم الانحياز.

لكنني أشك في أن كل هذه الشوارع الواسعة القديمة هي من عمل الأمير سيهانوك الذي تولى الحكم عام ١٩٥٥م واسقطه

الشيوعيون في عام ١٩٧٥م فلاشك انها قد خططت قبله فحسَّن منها الحسن وزاد في ذلك تخطيط ضواحيها وتجميلها لأن ذلك قديم ظاهر القدم وواضح أنه منذ زمن الاستعمار الفرنسي على البلاد.

ورأيت مثل ذلك وقريباً منه في الأحياء الجيدة في مدن فيتنام التي يجمع الجميع من أهلها على أنها من عهد الفرنسيين إبان الاستعمار.

كان أول ما فعلناه أن ذهبنا إلى بيت أخ مسلم نشط هو الأخ محمد مروان وهو يعرف قدراً من اللغة العربية ويعمل مثل الأخ إبراهيم آدم في الجبهة الوطنية الحاكمة.

دخلنا بيته على شارع مستقيم جيد مثل أكثر شوارع فنوم بنه واسمه شارع ٥١ لأن كثيراً من الشوارع هنا تعرف بأرقامها. فوجدنا البيت قد بني أسفله من الاسمنت وأعلاه من الخشب حتى درجه من الخشب فصعدنا عليه إلى الطابق الثاني مع الداعي الأخ محمد مروان فكان بيته يدل على أنه مسلم حريص على اظهار اسلامه في بيته وذلك يتمثل في وجود لوحات إسلامية عديدة مكتوبة بالعربية ومنها شهادة أن لا إله إلا الله محفورة في الخشب على الطريقة الصينية ولوحات أخرى عربية.

والبيت كله نظيف جميل من الداخل قدم لنا الضيافة ماء معدنيا وشراباً غازياً ومعه صحن من الموز الصغير الجيد الذي يسمونه (موز صفار البيض) ويقولون انه أجود أنواع الموز عندهم ولذلك هو أغلاها.

شارع النهر :

ولم نطل المكث في بيته لأن لنا عملاً كثيراً اليوم فاستأنفنا السير حيث مررنا بشارع (توسا موت) وهو مثل ماحوله من الشوارع ذو مظهر جيد قد غرسوا عليه نارجيلا لايزال قصيراً ويشعر بأن عمره نحو ثلاثين سنة أو أكثر من ذلك قليلاً .

وهذا الشارع يماشي النهر إلا أن أطرافه أي أطراف الشارع ليست بذاك، وهم الآن يعملون على تحسينها .

وقد زرعوا أرصفة الشارع بشئ من الحشيش وهو يفضي إلى حي فاخر هو الحي السكني الفاخر في كمبوديا وحداثته نسبية ترجع إلى ماقبل استيلاء الشيوعيين على الحكم- لأن عهدهم كان عهد حروب وقلائل خرب فيه من البلاد أكثر مما عمر، بل انهم خربوا العامر ولم يستطيعوا تعمير شئ .

وفي هذا الحي مبنى ضخم أنيق مصبوغ بالحمرة التي هي اللون المفضل للمباني المعتنى بها بهذه البلاد واسمه (قصر كمبوديا) وهو مخصص لاستضافة الوفود الرسمية الذين تدعوهم الحكومة لزيارة البلاد .

مدينة الأنهار :

يصح أن تسمي مدينة (فنوم بنه) بمدينة الأنهار ذلك بأنني كنت اسمع ان نهر الميكونغ العظيم يمر بقربها، ولما سرنا على شارع النهر وكنت اعتقد انه هو نهر الميكونغ فقلت لهم انني أريد أن التقط

صورة لهذا النهر العظيم والتقط صورة تذكارية لنا هنا معهم فقالوا: إن هذا النهر ليس الميكونغ ولكنه يلتقي به بعد مسافة قصيرة إن هذا النهر الذي نحن على ضفته هو نهر (باتا).

ورأيت نهر باتا، نهراً في حجم نهر دجلة أو أقل قليلاً أما نهر الميكونغ العظيم فإنه يشابه نهر النيل في اتساعه وكثرة مياهه.

وكل ذلك في الجهة الجنوبية من فنوم بنه قالوا: وهناك نهران آخران في المدينة هما: نهر (باتاو ساى) .

وقد عجبت مما تردد في الأخبار من مجاعة ومن نقص في الطعام قد يصل إلى حد المجاعة تعاني منه كمبوديا مع وجود هذه الأنهار الضخمة ذات المياه التي لو ارسلت على صحراء من الصحاري لأصبحت خضراء أكثر من الأراضي المطيرة إضافة إلى الأمطار الكثيرة التي تتساقط على هذه البلاد في موسم الأمطار.

وحتى شارع النهر هو مهمل قد نمت الأعشاب الطبيعية فيه دون تهذيب أو تنسيق وعلى ضفاف هذا النهر بيوت خشبية رثة أكثرها مرفوع عن الأرض بأخشاب لئلا تتلفه الرطوبة. وعجبت من كون الأخشاب التي تحمل هذه البيوت غائصة في الماء ولايتلفها الماء فذكرت أنها أنواع معينة من الأخشاب وان الأخشاب ليست كلها تصلح لذلك.

وكنت رأيت مرة في تايلند أخشاباً كثيرة ملقاة في النهر وقد وضعت على أطرافها أثقال ذكروا انهم صنعوا بها ذلك لكي تصلب وتقوى، لأن بقاءها في الماء مدة يجعلها أصلب وأقوى.

حي بري برات :

وصلنا حياً على ضفة نهر (باتا) اسمه (بري برات) كان قرية منفصلة عن مدينة (فنوم بنه) فلحقت به عمارتها حتى صار متصلاً بها، ولكنه لايزال معتبراً خارجاً منها، بل إنهم يعدونه قرية منفصلة.

وجميع البيوت فيه من الخشب المرفوع عن الأرض بدعائم خشبية ورأيت فيها بيتاً ذكروا أنه لمسلمين تطل من نافذته التي هي في طابقه الثاني نسوة على استحياء ليرين من هؤلاء الزوار لحيهم الذي يقل زواره من الأجانب، وأكد لنا الأخوة انهن من نساء المسلمين وهذا ظاهر من حيائهن لأن الكافرات لايستحين من رؤية الرجال الأجانب بحكم تربيتهن.

المسجد الأعلى :

كان المقصد من زيارة هذا الحي هي رؤية مسجد فيه اسمه (المسجد الأعلى) والاطلاع على مدرسة إسلامية بجانبه.

وجدنا المسجد سرى المنظر، بل فخماً بالنسبة إلى المباني الموجودة في الحي فهيكله مبني بالأسمنت إلا أن عمده من الخشب القوي وكذلك سقفه من الخشب.

وهو مستطيل الشكل وهذا هو الطابع الغالب على المساجد في هذه البلاد فجميع المساجد التي رأيناها هي مستطيلة الشكل.

ومن الأشياء التي استرعت انتباهنا فيه وجود طبل كبير ذكروا أنهم في القديم قبل وجود مكبرات الصوت يضربونه من أجل الابلاغ بدخول الوقت لأن صوته يذهب بعيداً، ولهم اصطلاح في ضرباته

من حيث العدد فالأوقات المعتادة يضرب فيها ٣ ضربات ولهم في أيام الجمع وكذلك للابلاغ بوفاة شخص مثلاً ضربات معينة.

وقد اختاروا الطبل لأن صوته يذهب قوياً إلى مدى بعيد في هذا الجو الرطب ذي الأشجار العالية التي تمنع ذهاب صوت المؤذن بعيداً.



[المسجد الأعلى في ضواحي العاصمة فنوم بنه]

وأما الآن فإن هذا المسجد فيه مكبر للصوت، وكذلك كثير من المساجد، إلا أن بعضها لم يستطع أهله الحصول على مكبر للصوت فصاروا يضربون الطبل للتنبيه حتى الآن.

وقد أخبرونا أن ضرب الطبل ليس عوضاً عن الأذان ولكنه معه.

وقد تذكرت أنني رأيت مثل هذا الطبل وأكبر منه في مساجد عدد من البلدان الاستوائية أو الشبيهة بالاستوائية مثل اندونيسيا وجنوب تايلند، ولكنني لم أر مثل ذلك في الهند.

استقبلنا في المسجد نائب الامام (حاجي محمد على) وهو يضع على كتفه شماغاً أحمر ربما كان اشتراه من مكة المكرمة أثناء حجه وهم هنا كما في كثير من البلدان الإسلامية وخاصة في بلاد الأقليات المسلمة يحرصون على ارتداء الملابس العربية أو بعضها محبة بالعرب ومن أجل الظهور بمظهر التدين والتزام المظهر الإسلامي.

ومالبث الأخوة المسلمون ان انضموا إلينا وصاروا يؤنسوننا بالحديث- إلا انهم لأدبهم لايسارعون في التحدث إلينا كما يفعل بعض الناس وإنما تركوا الحديث معنا للامام أو رئيس جماعة المسجد



[داخل المسجد الأعلى مع إمام المسجد وبعض جماعته]

ومن أولئك الأخ سليمان بن إبراهيم بن على ذكروا أنه حافظ للقرآن الكريم فالتقطنا صورة تذكارية معهم في المسجد.

وقد لاحظت أن المسجد ليس مفروشاً وإنما هو مبلط ببلاط ملون جميل، وهناك حصر رخيصة لفرشه عند الحاجة قد جمعوها في ركن منه.

وقد رأيتهم كتبوا على المنبر بالعربية أو بلغة (تشامبا) ذات الحروف العربية (إمام خطيب حج سليمان يوسف بن محمد صالح).

ومحراب المسجد عقدان تحتهما المنبر والمحراب معاً وفي أعلاه ستاتر من القماش لتمنع الشمس والحر دون أن تمنع النور.

وللمسجد فناء أمامي تحيط به مباشرة أي من دون حاجز بيوت من بيوت المسلمين رأينا في بطنها سكانها من المسلمين الذين كثيراً مايتميزون عن سائر الناس بلبس القلانس وهي (الطواقي) وإن لم يكن ذلك قاعدة عامة.

وقد أخبرونا أن المسجد يحتاج إلى ترميم ولكنهم أعجز من أن يقوموا بذلك فوعدناهم خيراً.

كذلك علمنا ان إمام المسجد ومؤذنه ليست لهم رواتب مثلهم مثل غيرهم من الأئمة والمؤذنين في هذه البلاد. لأن الحالة الاقتصادية المتدهورة في البلاد نتيجة للحكم الشيوعي وللحرب الأهلية جعلت الناس ومنهم المسلمون لايستطيعون أن يوفروا شيئاً من المال زائداً عن الحاجات الضرورية كالأكل والملبس والمسكن بل ان أكثرهم لايستطيع حتى الحصول على الكفاية من هذه الأشياء الضرورية.

المدرسة الإسلامية :

تقع بجانب هذا المسجد من جهة الشرق وهي فخمة البناء لكونها بنيت في أيام الرخاء ووفرة المال عند المسلمين عليها اسمها بلغة (تشامبا) ذات الحروف العربية ونصه : (لبي نهده علم المسلمين، مدرسة الإسلامية) . ومعنى لبي : مكان أو محل . ونهده : نور أو ضياء أي مدرسة الضياء العلمية الإسلامية .

وهذه المدرسة تعاني- أيضاً- من نقص في الأثاث والكتب والمدرسين وتحتاج إلى الترميم . وقد لقينا في هذا المسجد أخاً مسلماً جديداً أسلم منذ خمس سنين . ويريدون بالمسلم الجديد من لم يكن أبواه مسلمين يعني انه لم يولد مسلماً، واسمه (غزالي بن سليمان) وهذا هو اسمه بعد اسلامه .

سألته عن دينه قبل الإسلام وهل كان المسيحية؛ فأجاب بالنفي وقال : ان دينه كان دين الجاهلية القائم على عبادة الأجداد فقلت له : أرجو أن تدعو قومك إلى الدخول في الإسلام لأنك تعرف لغتهم وعاداتهم فقال : هذا ماأفعله .

وأخبرونا ان عدد طلاب المدرسة (١٣٠) وأنها تعمل في أيام الأسبوع كلها ماعدا الأحد والجمعة فإنهما يوما عطلة فيها، وان أكثر طلابها يدرسون في مدارس الحكومة حتى يجمعوا بين الثقافتين الدينية والدنيوية .

عدد المدرسين فيها ثلاثة يتقاضى كل واحد منهم (١٠) آلاف ريال في الشهر ويساوي ذلك ١٤ دولاراً أمريكياً، وهو مبلغ زهيد بالنسبة إلى الغلاء النسبي السائد في البلاد في الوقت الحاضر .

ومن الطريف في الأمر- على كونه مؤسفاً- انهم ذكروا لنا أن هذا الراتب على ضآلته ليس هو ثابتاً مؤكداً وإنما قد ينقصون منه إذا لم يجدوا مالاً من تبرعات المحسنين لأنهم يعتمدون على التبرعات القليلة التي يحصلون عليها من سائر المسلمين.

وكذلك ذكروا لنا عن النفقة المتكررة للمسجد بإن ذلك يتم من تبرعات المسلمين التي يجمعونها أيام الجمع، ويؤدي صلاة الجمعة مئتان في المتوسط. أما الصلوات الأخرى اليومية فإن الذين يحضرون لأدائها في المسجد يتراوح عددهم مابين ٤٠ إلى ٥٠ مصلياً.

وغادرنا المسجد مودعين من أهله الأخوة المسلمين بعد أن التقطت مع أحدهم صورة في حانوت له مرفوع عن الأرض.

نصب التحرير :

فمررنا بالقسم الجيد من فنوم بنه مع أنه ليس بأفخر من قلب المدينة التجاري والسكني الذي ذكرته، إلا أن قلب المدينة مهمل وهذا معتنى به، وتتمثل العناية به بتعهد أشجاره بالسقي وشوارعه بالنظافة ونصب التحرير هذا أقاموه رمزاً لتحرير بلادهم من الاستعمار الفرنسي في عام ١٩٥٤م بعد استعمار استمر ٨٠ سنة وبهذه المناسبة قلت للأخوة المرافقين إنني عجبت لقلة المثقفين ثقافة فرنسية وكذلك المتحدثون بالفرنسية هم هنا قليل رغم كون البلاد كانت مستعمرة فرنسية فقالوا بسرعة: المثقفون بالفرنسية بعضهم قتلوا، وبعضهم هاجروا إلى خارج البلاد في عهد (بول بوت) الإرهابي الذي كان كالشيوعيين الصينيين في عهد الثورة الثقافية يريدون – بزعمهم- أن

يبنوا الشيوعية في بلادهم دون أي شائبة من ثقافة أخرى حتى ولو كانت ثقافة وطنية أصيلة.

ينطلق من هذا النصب شارع جيد يسمونه شارع التحرير قد غرسوا أشجار النارجيل الوارفة الظلال على جانبيه، وزينوه بأرصفة معتنى بها خلاف أرصفة الكثير من الشوارع التي تبدو مهملة وبعضها قد تكسر بفعل الزمن وعدم الصيانة.

يوم الأحد ١٥ / ١٢ / ١٩٩١م

إلى شرانغ شمرانغ :

أرأيت غرابة هذا الاسم حتى في هذه اللغة الكمبودية، ومع ذلك فإن معناه أغرب أيضاً فهو ليس علماً على مكان بعينه وإنما هو اسم لما كان على ضفة النهر المرتفعة.

والمراد بالنهر هنا هو نهر (دولي ساي) وهو غير نهري (باتا) و(الميكونغ) فهذا هو النهر الثالث من أنهار أربعة تمر أو تجتمع بمدينة فنوم بنه.

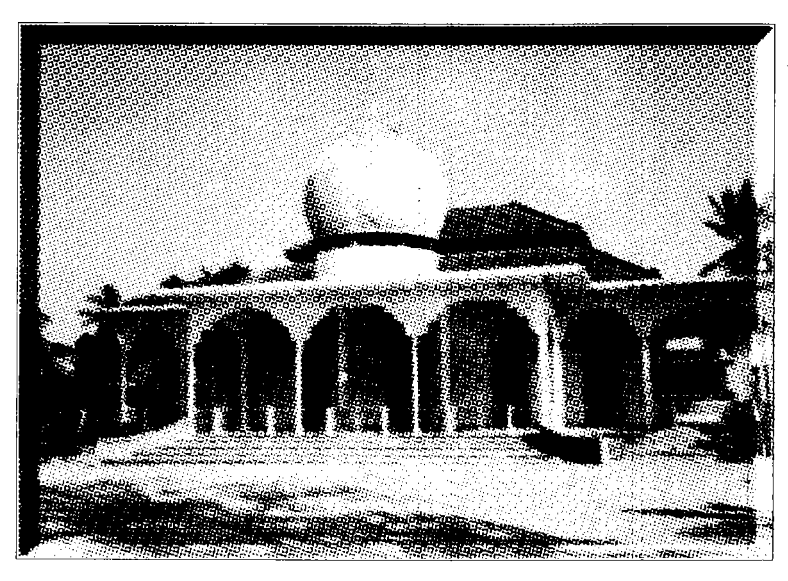
ويعرفون المواضع الواقعة في (شرانغ شمرانغ) وبعدها عن المدينة بالكيلو فقد أخبرونا اننا سنزور الكيلو ٧ يريدون موقعاً يبعد عن العاصمة (فنوم بنه) سبعة كيلومترات، وسألتهم عن اسمه فذكروا انهم لايعرفون له اسماً معيناً غير هذا، وإنما هو جزء من منطقة (شرانغ شمرانغ)، ومررنا بقرية صغيرة اسمها (تووج) ذكر ان معناه (السوق الصغير) وهي ذات منازل خشبية رثة أثر فيها الزمان وتقع على ضفة نهر (دولي ساي) الذي معنى اسمه (النهر العذب) فدول : نهر، وساي : عذب باللغة الكمبودية.

والطريق يجاري النهر أي هو بمثابة مايسمى بالعامية (الكورنيش) ولكنه سئ مثل ضفة النهر فليس فيها شئ مجمل حتى ولا بالزهور التي لايتطلب وجودها مجهوداً في بلادهم، لأنها تشرب من ماء المطر ومن النهر برفع الماء إليها وإلا فإن النهر عميق الآن لأن مياهه ناقصة بسبب كوننا في موسم الجفاف في الوقت الحاضر.

وحتى الناس الذين في ضفة هذا النهر ليس علي وجوههم إشراق ولا في ملابسهم تأنق، يبين على بعضهم أنهم لايملكون كفايتهم من الغذاء.

مسجد كيلو سبعة :

وصلنا (كيلو سبعة) وهي قرية من عدة محلات سكنية على ضفة هذا النهر نهر (دولي ساي). وجدنا في الانتظار جماعة من الأخوة المسلمين فيهم الأخ (يوسف بن اسماعيل) نائب الامام وبعضهم يسميه الإمام الثاني أما الإمام فاسمه (صالح بن أحمد) وله اسم كمبودي هو (ماث سالس).



[مسجد الكيلو ٧ قرب العاصمة فنوم بنه]

وقد عرفنا بعد ذلك أن الأئمة يكونون متعددين عندهم لأنه لارواتب للأئمة ولذلك يتناوب جماعة من المتبرعين الإمامة بالناس.

الإمام هو الحاكم:

أخبرونا بعجيب من أمرهم في هذه البلاد وهو أنه تتألف عندهم جمعية غير رسمية أي غير مسجلة في الحكومة لكن يكون لها اعتبار مثل ذلك عند عامة الشعب وتكون هذه الجمعية أو الجماعة مسؤولة عن الأمور الدينية المتعلقة بالمسجد وجميع أمورهم الدينية متعلقة بالمسجد، لأن حكومة البلاد شيوعية لاتعترف بالدين ولا بأهميته في الحياة بل إنها تحاربه وتعمل على نشر الإلحاد ولذلك لابد لهم من العناية بأمور دينهم بأنفسهم.



[المؤلف مع إمام مسجد الكيلو ٧ عند منبر المسجد]

قالوا : فيكون رئيس الجمعية هو الإمام ويسمونه الحاكم لأنه أكبر شخص في الجمعية ويكون للمسجد عدد من الأئمة يتناوبون الصلاة فيه وكذلك المؤذنون، وكلهم متبرع من دون أجر، وقد كنت قبل أن أعرف ذلك استغرب كونهم يقدمون لي أكثر من شخص ويصفون كل واحد منهم بأنه الإمام.



[مساكن المسلمين القريبة من مسجد الكيلو ٥]

مسجد نور الأحسان :

وقفنا عند مسجد واسع ويسمونه (مسجد نور الاحسان) ذي عمد من الخشب القوي الصلب الذي رأيت مثيله في القصور في الصين وفي المساجد الأثرية القديمة ذكروا انه يبقى مئات السنين في حالة جيدة وهو صلب الملمس كأنما يمس المرء حديداً وليس خشباً إذا

مسه لأنهم يصقلونه جيداً.

وسقفه من الخشب إلا أنهم جعلوا فوقه سقفاً مسنماً من أجل ألا تستقر عليه مياه الأمطار الكثيرة في هذه البلاد في موسم الأمطار.

وذكروا هنا مثل ماذكره اخوانهم من قبل بأن اخوتهم المسلمين المهاجرين في الخارج ساعدوهم على ترميمه، وذلك يعني أنهم أنفسهم لايستطيعون ذلك وهذا صحيح وواقع.

وفي محراب المسجد مكبر للصوت ظاهر يستعملونه من دون أن يعترض عليهم أحد وقد كتبوا على المحراب الآية الكريمة ﴿**وأن المساجد لله فلاتدعوا مع الله أحداً**﴾.

وفوق المنبر شعار المسلمين هلال ونجمة وفوقهما اسم الجلالة (الله).

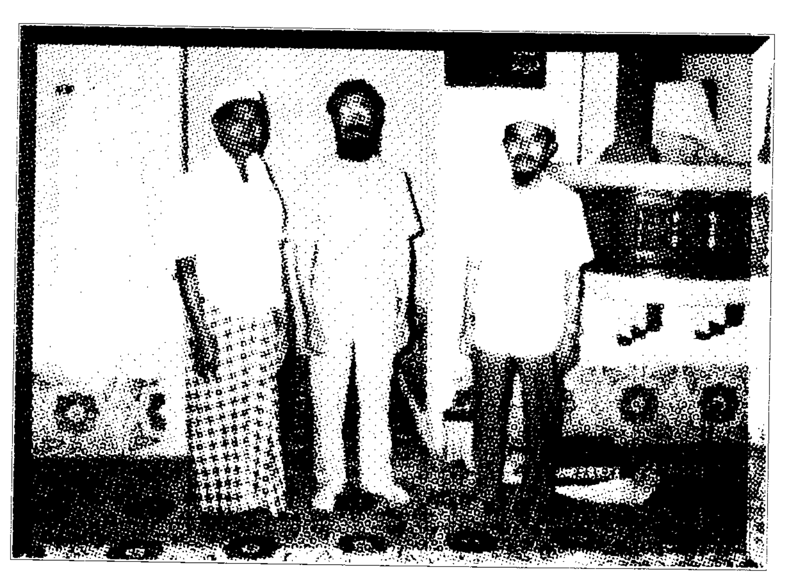


[نور الإحسان المعروف بمسجد الكيلو ٥ بضواحي العاصمة فنوم بنه]

وقد بني المسجد عام ١٣١٣هـ وهذا تاريخ قديم كما ترى، ولذلك يقولون إنهم يريدون هدمه وتجديده بحيث يكون أوسع وأحدث.

ورغم أن أعمدة المسجد الداخلية من الخشب فإن أعمدة أروقته وهي الخارجية هي من الأسمنت المسلح ويلاحظ الناظر أن أعمدة الخشب أجمل وأكثر استقامة من أعمدة الأسمنت مع أنها مستديرة مثلها.

وتحيط بالمسجد ساحات واسعة منها حديقة ذات أشجار عالية فيها قبور من قبور المسلمين.



[داخل المسجد بالكيلو ٥ على يمين المؤلف الإمام وعلى يساره الخطيب]

مدرسة الرضوان :

ملحق بالمسجد مدرسة إسلامية ذات عدة فصول فيها مقاعد خشبية وفيها سبورات جيدة كتبوا على إحداها بالعربية بخط جميل سورة ﴿**الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل...**﴾ الخ السورة.

وربما كانوا هيئوا الكتابة من أجل هذه المناسبة لأنهم كانوا قد علموا اننا سنقدم عليهم من قبل. وكتبوا معها جملاً بالعربية بمثابة التمارين كعبارة : (هل ذهبت لعيادة الدكتور أمس؟) وهذه المدرسة ليس فيها إلا مدرسان متفرغان ويقولون إن بعض من يحسنون التدريس من أهل البلدة يلقون فيها دروساً في بعض الأحيان. وعدد طلابها ٨٥ ولايكفي لهم مدرسان.



[مع أطفال المسلمين في الكيلو ٥ خارج العاصمة فنوم بنه]

وقد التف علينا عدد من أطفال المسلمين من الذين يدرسون في المدرسة ومن غيرهم فوزعت عليهم نقوداً هي قليلة بل ضئيلة بالنسبة إلينا ولكنها شئ ذو أهمية بالنسبة لهم ورأيت طفلا منهم يحمل طفلين فحملتهلهماما من باب المداعبة بعد أن أعطيتهما النقود فأسرع أحد الاخوة يلتقط لهما صورة.

مسجد النور المقيم :

من نور الإحسان ومدرسة الرضوان الملحقة به توجهنا إلى مسجد (النور المقيم) وهي أسماء رنانة ذات معنى مهم في هذا المجتمع البوذي الكافر وبخاصة بعد أن عانى المسلمون من مآسٍ بل مذابح قد تعرض لها. منهم من أظهر تمسكاً بدينه بل حتى من لم يستطع أن يجاري الحكومة الشيوعية السابقة حكومة بول بوت وجماعته من الخمير الحمر. ومن ذلك أنهم هدموا بعض المساجد وعطلوا المدارس الإسلامية مع انها مدارس صغيرة أشبه بالكتاتيب.

يقع مسجد (النور المقيم) في قرية تسمى كيلو (٨) واقعة على ضفة نهر (دولي ساي).

أول مارأيناه من المسجد لافتة مكتوبة عليه بالعربية (مسجد النور المقيم) وتحتها: ١٤٠١هـ ١٩٨١م وهو مسجد كبير عليه قبة وليست له منارة.

ومن لطيف ماصنعوه فيه أنهم كتبوا عليه بالعربية كتابة مكررة دائرة مع دوران المسجد على طوله بمثابة الحلية (الله) (محمد) الله

محمد، لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وهي محيطة به على هيئة حزام في أعلاه دون السقف ولكن من الخارج.

قلنا لهم : إن تاريخ بناء هذا المسجد هو تاريخ حديث فذكروا أنه كان مكان مسجد صغير قديم وأن هذا التاريخ المكتوب عليه إنما هو يؤرخ عمارته الحديثة هذه.

وقد هدم (بول بوت) وعصابته من الشيوعيين الأشقياء المسجد الأول ومعلوم أن (بول بوت) وعصاباته الشيوعية قد حكموا كمبوديا من عام ١٩٧٥م حتى عام ١٩٧٩م وذلك معاصر للثورة الثقافية في الصين التي اشعل نارها (ماوتسي تونغ) وعصابته الأربعة من غلاة الشيوعية الذين كانوا حوله ومنهم زوجته.

ومما يلفت النظر في هذا المسجد انه ليس له فناء خارجي مكشوف خاص به وإنما يشترك فيه معه بيوت من بيوت المسلمين هي محيطة بفناء المسجد وتفتح على ذلك الفناء مثلما يفتح عليه المسجد وان كان هناك مدخل عام لفناء المسجد ولهذه البيوت مدخل غالباً مايكون شباكاً من الخشب المهلهل القصير أو حتى بوابة رمزية لا باب عليها.

وقد رأيت أحد الأخوة المسلمين من أهل البيوت في بيته فصعدت إلى بيته من درج خشبي مثل سائر البيوت هنا والتقطت صورة معه فيه وهو مرفوع عن الأرض بدعائم من الخشب وواقع مثل المسجد على ضفة نهر (دولي ساي) مباشرة، إلا أن ضفة النهر مرتفعة هنا ارتفاعاً شديداً فلا تصل مياه النهر إلى المسجد وماحوله من المنازل.

واسم صاحب البيت (أمين بن عثمان) وهو تاجر في الخضرات. وفوجئت بأن داخل منزله نظيف وجيد ويشتمل في طابقه الثاني الذي هو مرفوع عن الأرض على ثلاث غرف كلها نظيفة مرتبة ذات منظر جيد من الداخل بخلاف خارج البيت الذي هو منظر الخشب الذي أثرت فيه العوامل الجوية.

ومما يستحق التنويه أنهم لايستعملون أسفل البيت الذي يلي الأرض إلا لأغراض محددة فلا يعتبرونه جزءاً من السكن ولايكون فيه فراش ولا أثاث وإنما يضعون فيه بعض الأشياء، أو يستظلون به عن الشمس في بعض الأحيان أو يلعب فيه الأطفال، لأنه لا حواجز له فضلاً عن أن يكون له باب.

والتقينا بالأخ (إدريس بن أبي طالب) ويسمونه الحاكم أو حاكم المسجد لأنه أكبر شخص في جمعية المسجد ومن الطريف أننا رأيناهم كتبوا تبياناً بالعربية في المسجد يوضح طريقتهم في الامامة والاذان والخطابة في المسجد وأنهم يتناوبون في ذلك لعدم وجود رواتب للمتفرغين المؤهلين. ويقول نص هذه الكتابة بالعربية:

الإمام أحمد عبدالحميد الجهوي محمد صالح.

المؤذن بخاري عبدالله.

المؤذن ٢ عبدالقيوم.

وذكروا أن الاذان في يوم الجمعة يتولاه اثنان وان الإمام والخطيب يتغيران بين كل جمعة وأخرى وفق الترتيب الذي ذكرته، لذلك يكتبون اسماءهم في المسجد ليعرفوا هم وليعرف المصلون ذلك، ولكن كيف يكتبون ذلك بالعربية وأكثرهم لايعرفها؟

لا أدري أو ربما كانوا كتبوها بلغة المسلمين وهي لغة تشامبا

ذات الحروف العربية وكتابة اسم الإمام والمؤذن لايختلف عندهم بطبيعة الحال.

ولكن هذا أمر غريب يدل على روح التعاون الموجودة بينهم.

وقد كتبوا على المنبر في المسجد الآية الكريمة ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾، كما كتبوا على المحراب الآية الأخرى ﴿**وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**﴾.

ونوهوا بأن هذا البناء الحالي للمسجد إنما بني بنقود بعثها الإخوة المسلمون من أهل البلاد المغتربون في فرنسا وكذا ماليزيا الذين هجروا البلاد هرباً من طغيان الشيوعيين أو قبل ذلك من أجل العمل. وهذا المسجد كسابقه مستطيل الشكل ذو أعمدة من الخشب الصقيل القوي، وأما المسجد نفسه بمعنى الحيطان وبقية البناء فإنه مبني بالأسمنت المسلح القوي.

المدرسة الإسلامية :

بنوا بجانب المسجد مدرسة إسلامية كعادتهم في بناء المدارس الإسلامية التي هي كتاتيب لتعليم مبادئ الإسلام والكتابة بالعربية التي يكتبون لغتهم لغة تشامبا بها، أما اللغة الوطنية العامة التي هي لغة كمبوديا فإن لها حروفا خاصة تشبه على البعد الحروف التايلندية في نظر من لايعرف اللغتين ولكنها تخالفها في الحقيقة وهي حروف عريقة، إلا أنني رأيت المسلمين لايكتبون أية كتابات بهذه اللغة الكمبودية على المساجد والمدارس وإنما يقتصرون في ذلك على الحروف العربية.

وهذه المدرسة مبنية بناء قوياً بالأسمنت المسلح من طابقين مما يدل على السخاء والسعة في النفقة. فأخبرونا أنها بنيت أيضاً من تبرعات الإخوة المسلمين الكمبوديين المهاجرين خارج البلاد.

مدرسة كيلو (٩):

جاءنا شخص مرسل من الأخ محمد على عبدالرحمن نائب رئيس مجلس الأمة يخبرنا أن (محمد على عبدالرحمن) ينتظرنا الآن في مدرسة كيلو ٩ وأنه بعث سيارته إلينا لتنقلنا إلى هناك مع وجود سيارتنا فذهبنا إليه حيث وجدناه في الطابق الثاني من المدرسة ينتظر لقاءنا فألقيت كلمة وهو واقف ذكرت فيها الغرض من قدومنا إلى هذه البلاد وبينت مهمة رابطة العالم الإسلامي التي أعمل فيها وانها



[تلاميذ مدرسة نور الإحسان في كمبوديا]

التعاون مع الاخوة المسلمين في أنحاء العالم على البر والتقوى وبخاصة فيما يتعلق بأمور دينهم الإسلامي الحنيف. إلا ان مسؤوليات الرابطة عظيمة لأنها تتناول شؤون المسلمين في العالم كله وموقعها في مكة المكرمة التي هي القلب النابض للمسلمين وهي قبلتهم ومهوى أفئدتهم مما يجعل الرابطة لاتستيطع أن تقوم بكل مايلزم للأخوة المسلمين وان تقدم الاتصال ببعضهم على بعض بسبب ارتباطات ضرورية. وهذا ماحدث بالنسبة للأخوة المسلمين في كمبوديا الذين كان تأخرنا في الاتصال بهم هو ماشهدته هذه البلاد الكمبودية من اضطراب في الأمن بل من الاغلاق في وجوه الأجانب في وقت من الأوقات.



[في فناء مسجد الكيلو ٩ مع السيد/ محمد علي عبدالرحمن نائب رئيس مجلس الأمة الكمبودي]

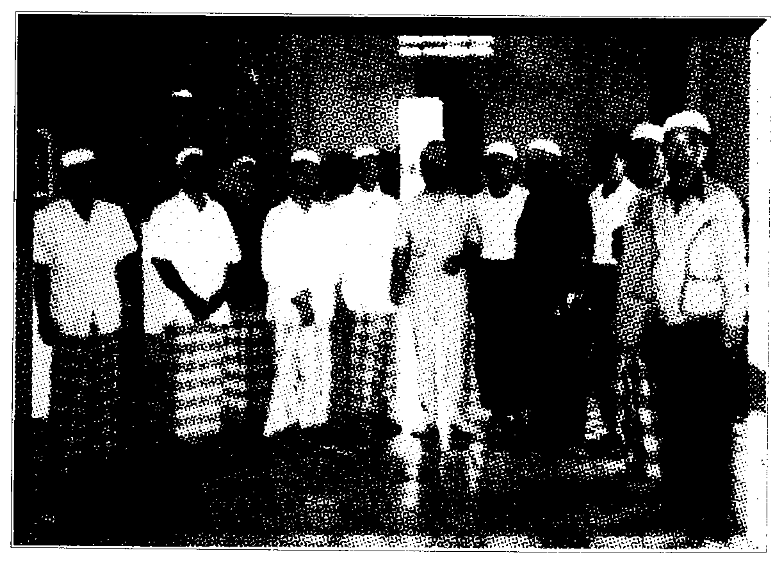
والآن وقد اتيحت هذه الفرصة فرصة الأمن والاستقرار نتيجة المصالحة والمفاهمة بين الأطراف الكمبودية المتنازعة

فإننا سارعنا إلى انتهاز هذه الفرصة وبادرنا بالحضور إليكم ومعنا كل الشوق إلى الأخوة المسلمين الكمبوديين وكل الأمل في أن نستطيع أن نرسم الطريق الصحيح لمعاونتهم على أمور دينهم في المستقبل وإنني بحاجة إلى جهودكم وآرائكم السديدة في هذا الموضوع.

وشكرته على حضوره في هذه الساعة لمقابلتنا في هذا المكان.

رد على كلمتي بكلمة مطولة ذكر فيها حالة المسلمين الكمبوديين وحاجتهم الماسة إلى المساعدة وذكر أشياء جيدة من المساعدات التي يحتاجونها قال: ومن أهم ذلك التعليم بأنواعه من ديني ومدني. وذكر أن الفرصة الآن مازالت سانحة للعمل الإسلامي في كمبوديا حيث لاتوجد عوائق تحول دون ذلك.

قال : لقد جئت إلى هنا لكي أسلم عليكم وأريكم أرضاً موقوفة لنا نحن المسلمين نريد أن نبني عليها مسجداً دولياً كبيراً



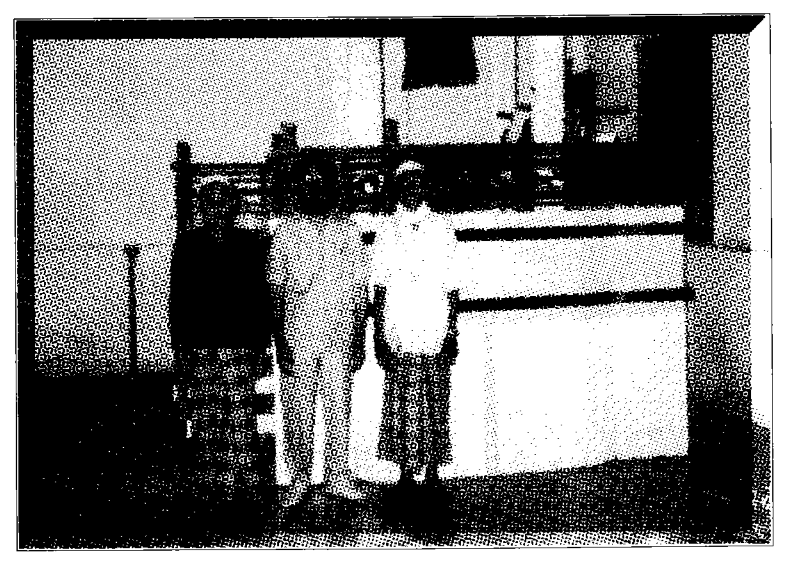
[داخل مسجد الكيلو ٩ مع الاخوة المسلمين]

ومركزاً إسلامياً يكون نقطة اشعاع للثقافة الإسلامية في هذه البلاد. حرصت على أن أريكم إياها بنفسي لأن هذه الأرض واسعة ونخشى أن تأخذها الحكومة بحجة أنها أرض عامة لم ينتفع بها فنخسرها ولانستطيع أن نجد عوضاً عنها، لأن الأراضي عندنا رخيصة الثمن في الوقت الحاضر ولاشك في أنها ستكون غالية في المستقبل.

قال: وحتى البناء فإنه الآن رخيص ونريد أن نبني في هذه الأرض فندقاً جيداً يدر ربحاً ننفق منه على عمارة المساجد وعلى مانحتاج إلى الانفاق عليه من المؤسسات الإسلامية.

وذكر في حديثه أشياء أخرى اتفقنا على أن يتم بحثها معه في جلسة معه تعقد فيما بعد.

وصلنا إلى فصول المدرسة الإسلامية ويسمونها كيلو (٩) وهي



[مع إمام وخطيب مسجد الكيلو ٩]

أحسن مدرسة إسلامية في هذه البلاد إذ فصولها ذات مقاعد جيدة وسبورات واسعة، والفصول مليئة بالطلبة استقبلنا مديرها الأخ حاجي (طيّب بن إبراهيم) ذكر أن أهم مايحتاجون إليه في الوقت الحاضر الكتب الإسلامية والمساعدة على تحمل رواتب المدرسين.

كان أول فصل دخلناه قد كتبوا على سبورته عبارات بالعربية بخط جيد ذكروا أنهم اقتبسوها من كتاب عربي أرونا إياه فإذا به كتاب إملاء مطبوع في سنغافورة.

ويزدحم هذا الفصل بالطلاب الذين يبلغ عددهم فيه نحو ٥٠ .

ثم انتقلنا إلى فصل آخر طلابه أصغر أسناناً من الصف الأول وعددهم ٤٠ وهو واسع كالفصل الأول وقد كتبوا على السبورة بخط عربي جميل تفسير (سورة الناس) بلغة تشامبا ذات الحروف العربية.

موسم صيد السمك :

ذكروا لنا أن عدد طلاب المدرسة هو ٢٨٠ مع انه لايوجد فيها الآن إلا أقل من ذلك وعللوا ذلك بأن هذه الأيام هي أيام موسم صيد السمك، وأن بعض الطلبة يحتاجهم أهلوهم لمساعدتهم في صيد السمك. لذلك لم يحضروا.

وذكروا أن هناك عطلة للمدرسة كلها مدتها سبعة أيام في ذروة هذا الموسم.

كما ذكروا أن عدداً غير قليل من المسلمين وفيهم أئمة المساجد والمدرسون يخرجون إلى صيد السمك في هذه الأيام التي هي أيام

الجفاف ومن ثم تقل المياه قلة نسبية في الأنهار كما تقل في المستنقعات وأماكن تجمع المياه فيتجمع السمك في هذه الأماكن ويسهل صيده.

وهذا مصدر من مصادر الغذاء الكثيرة في كمبوديا التي يقف بعض سكانها على حافة المجاعة بسبب الحروب والمنازعات الداخلية، ومايتبع ذلك أو ينشأ عنه من سياسات اقتصادية خاطئة ومن نقص في الأموال والأنفس والثمرات.

وذكروا أن موسم صيد السمك يستمر ثلاثة أشهر وهي أشهر الشتاء عندهم. إلا أنه شتاء نسبي إذ الجو الآن ليس فيه من البرودة شئ فالمرء يستطيع أن يلبس قميصاً خفيفاً أبيض كما يفعل في الصيف لايحتاج إلى غيره.

أرض الوقف الإسلامي :

ذهبنا مع الأخ (محمد علي) سيراً على الأقدام إلى أرض الوقف الإسلامي في مكان غير بعيد من هذه المدرسة ومررنا ببيوت خشبية رديئة أشار إليها مرافقونا قائلين: إن هذه الأكواخ الخشبية التي ترونها ليست قديمة وإنما أقيمت بديلة من بيوت جميلة كانت موجودة فخربها بول بوت وجماعته من الشيوعيين المتعصبين.

وذكروا ان المسلمين اصابهم عنت شديد منهم فكان من يمتنع عن أكل الخنزير من المسلمين يهان ويعذب لأن ذلك يدل بزعمهم على انه رجعي متمسك بالدين.

عندما وصلنا الأرض وجدناهم كتبوا عليها لافتة بالعربية (مقابر المسلمين) ولعل ذلك من لغة تشامبا ذات الحروف العربية قالوا انهم كتبوا هذه اللافتة لحمايتها من الحكومة حتى يبني عليها المسجد لأنها تعتبر الآن أرضاً خالية وهي بالفعل غير معمورة.

دخلنا الأرض فوجدناها خضراء فيها عدة مناقع للمياه باقية من موسم الأمطار وساعد على بقائها تشبع الأرض بالرطوبة لأن النهر غير بعيد وهي واقعة على الشارع العام الذي يجاري النهر لايفصل بينهما إلا صف من البيوت إلا أنها على الجانب الأيسر من الشارع أما النهر فإنه على الجانب الأيمن. وهي خضراء كأنما هي مزروعة ولاشك في أنها لو كانت عند قوم يحسنون استغلال الأرض بالزراعة لما تركوا فيها شبراً بدون زراعة ولأغلت كثيراً من الغلال وبخاصة الخضروات التي تباع بأسعار غير رخيصة في هذه البلاد.

وكذلك يمكن استعمالها لتربية الأسماك لأن بجانبها أرضاً مليئة بحفر شبيهة بالبرك فيها مياه دائمة يربون فيها الأسماك ويكسبون من ذلك كثيراً.

ولاحظنا أن في ركناً منها مقابر من مقابر المسلمين جديدة ولمقابر المسلمين في البلدان البوذية التي يحرق أهلها جثث موتاهم أهمية متميزة.

وعندما رأيت سعة هذه الأرض التي ذكروا أن مساحتها هي مائتا متر طولاً في مائة متر عرضاً قلت للأخ محمد على إنني أشاركه الرأي في أهمية هذه الأرض للمسلمين وفي أنه ينبغي عمل شئ يشعر بعمارتها مثل أن يسوروها عاجلاً وبينوا في طرف منها قاعة يتخذونها

مسجداً حتى تكتسب صفة الأرض المشغولة وبعد ذلك يعملون على بناء المشروع الكبير الذي يسعون لإقامته عليها وقلت له: إنني لا أرى لكم الاكتفاء بهذا وإنما أرى أن تشتروا بعض هذه الأراضي المجاورة لها، فثمنها الآن رخيص لأن بلادكم تمر بمرحلة اقتصادية انتقالية والمنتظر أن تزداد أسعار الأراضي فيها بعد استقرار الأمور، وانحسار الشيوعية عنها التي انحسرت حتى عن بلاد الشيوعية الأصيلة في الاتحاد السوفيتي وشرق أوروبا.

فقال: هذا صحيح ولكن الشأن في المال، فقلت له: إنكم إذا قمتم بحملة للحصول على المبالغ اللازمة لذلك أمكنكم الحصول على بعضه، وسوف أبذل جهدي في مساعدتكم من رابطة العالم الإسلامي.

كما أن البنك الإسلامي للتنمية الذي مقره في جدة درج على مساعدة المسلمين على مشروعاتهم الإسلامية إذا حصلوا على الأرض اللازمة لتلك المشروعات والأرض لديكم جاهزة ويمكنكم أن تكتبوا كتاباً بما تحتاجون إليه إلى البنك المذكور وسوف أحمله معي وأتابع الموضوع معهم.

إلى المسجد الأكبر:

بعد التقاط الصور التذكارية لهذا اللقاء بالأخ محمد على عبدالرحمن نائب رئيس (البرلمان) وصحبه على أرض الوقف الإسلامي ذهبنا إلى (المسجد الأكبر) القريب من المكان فكان أول ما استرعى انتباهي انه مثل غيره من المساجد هناك قد أحيط فناؤه ببيوت

من بيوت المسلمين الخشبية التي يصعد إليها على درج من الخشب ويدخل إليها من الفناء المكشوف الذي يدخل إلى المسجد منه.

وهذا من انفرادات هذه البلاد الكمبودية ولم أر له نظيراً في مكان آخر من العالم، إذ اعتدنا على أن يكون الفناء المكشوف المتصل بالمسجد أو المحيط به خالصاً للمسجد تابعاً له. أما أن تكون بيوت سكنية تفتح عليه ويتطرقه أهلها للوصول إليها فذلك أمر خاص بهذه البلاد ربما كان رأيهم في ذلك أن هذا الفناء المكشوف الذي يشبه الميدان غير الواسع حول المسجد ليس جزءاً من المسجد ولكنه جزء من مرافقه التي يشترك فيها معه أهل تلك البيوت.

والمسجد جدرانه مبنية بالأسمنت وأما سقفه فإن أطرافه من الصفيح واعلاه مجلل بالآجر المتغير بفعل الزمن وذلك رغم سعته وكبر مساحته التي جعلته حرياً بتسميته المسجد الأكبر، وذلك أيضاً لكثرة المصلين فيه فقد ذكروا ان عدد المصلين يوم الجمعة يصل إلى (١٤٠٠) مصلٍ وأنه يمتلئ بهم رغم سعته حتى يصلوا خارجه.

قالوا: وأما الصلوات اليومية فإن الجماعة فيه تتراوح بين ٣٠ و٤٠ مصلياً.

وقد رأيتهم جعلوا محرابه من الرخام ولم أر عليه تاريخاً يوضح متى بني إلا أنهم ذكروا أن بناءه الحالي هو بعد عهد (بول بوت) الشيوعي المتعصب وأما أول مرة بني فيها فإن ذلك يرجع إلى عهد قديم لايعرفونه قال بعضهم: إنه يعود إلى التاريخ الذي دخل فيه الإسلام أول مرة إلى هذه المنطقة، وقال أحدهم: ربما كان ذلك قبل خمسمائة سنة.

وسألتهم بهذه المناسبة عن تاريخ وصول المسلمين إلى هذه المنطقة فلم يعرفوا ذلك ولا على وجه التقريب، وذلك أنهم كلهم من سائر المسلمين الذين ربما كانوا لايهتمون بمثل هذه الأمور ولم أر من بينهم أحداً من رجال البحث والأدب المهتمين بمثل هذه الأمور.

وعدنا إلى مدينة (فنوم بنه) ظهراً بعد هذه الجولة الحافلة بالغرائب والفوائد بالنسبة إليّ إذ رأيت فيها من أمور هذه البلاد مالم أره من قبل، واطلعت من أحوال المسلمين فيها على مالم أكن أعرفه.

مدرسة التعذيب :

ليس هذا اسمها وإنما اسمها الرسمي كان (مدرسة تول سيلنج الثانوية) وأصبحت بعد ذلك تسمى (متحف التعذيب والقتل) ولكنني اسميتها بهذا الاسم من واقع حالها فهي كانت مدرسة ثانوية راقية كبيرة المساحة كثيرة الغرف حولها (بول بوت) المتعصب وعصاباته الشيوعية معتقلاً لمعارضيهم من أهل البلاد بل معارضي الشيوعية، سواء أكانوا من المسلمين أو من غيرهم وسواء أكانوا متدينين أو غير متدينين، فصاروا يعتقلونهم ويعذبونهم، إلى أن قام الانقلاب الذي أيدته جارتهم فيتنام ضدهم، فاسقط (بول بوت) وعصاباته وهرب معهم إلى حدود تايلند وصاروا من هناك يقاومون هذه الحكومة الحاضرة بحرب من حروب العصابات وبقوات منظمة مؤلفة ممن انسحب من قواتهم من البلاد وصارت تايلند التي تدعي الديمقراطية وخلفها الولايات المتحدة التي توصف بأنها أكبر مجتمع ديمقراطي في العالم تساعدهم رغم ماعرفوا به من جرائم بشعة تتنافى

مع أبسط قواعد الديمقراطية، بل مع أبسط قواعد السلوك الإنساني المتحضر وذلك بحجة أنهم يقاومون فيتنام التي تريد أن تسيطر على كمبوديا وتصبح دولة كبيرة في المنطقة وكان يؤيدها الاتحاد السوفيتي في ذلك.

وبهذا تتغاضى أمريكا وتايلند عما فعله هؤلاء السفاحون من الخمير الحمر في سبيل هدف سياسي لهما.

ويراد بالخمير الحمر: الخمير الشيوعيون الذين كانوا مدعومين من الصين الشيوعية التي كانت في ذلك الوقت في أوج ثورتها الشيوعية، بل في أوج الهوس الشيوعي الذي أسموه (الثورة الثقافية) وقد ذكرت ذلك في كتاب.. «داخل أسوار الصين»..

فكان أن فعل (الخمير الحمر) الشيوعيون فعل الصينيين في قتل كل من لم يكن معهم في تطبيق المبدأ الشيوعي الإلحادي، وهدم كل ماخالفه، وشمل ذلك المسلمين حيث قتل منهم آلاف وهدمت مساجد ومدارس إسلامية.

إلا أنه من الانصاف أن نذكر أن المسلمين قالوا: إنهم لم يكونوا يقصدون المسلمين وحدهم بالأذى بل كانوا يقتلون كل من لم يتابعهم على مذهبهم ولكن المسلمين بحكم تميزهم بعقيدتهم الإسلامية وعدم تساهلهم في التمسك بها ولكونهم كانوا متميزين أيضاً عن غيرهم بوجود موظفين كبار وتجار لا بأس بتجارتهم بينهم قد نالهم من الأذى بقدر ذلك.

وهذا أيضاً هو ماقاله لنا الأخوة المسلمون في الصين حينما اشتكوا من الأذى الذي لحق بهم من جراء الثورة الثقافية في الصين قالوا : إن ذلك لم يكن خاصاً بالمسلمين ولم يكن الشيوعيون

يقصدونهم بذلك دون غيرهم، وإنما كانوا أكثر الطوائف تمساً بدينهم ومحافظة على مساجدهم لذلك نالهم من الشيوعيين أذى عظيم.

ولولا هذا لما قام شيوعيون صينيون آخرون بالثورة على من أسموهم بعصابة الأربعة هناك فانقلبوا عليهم واعتقلوهم وحاكموهم ومازالوا ينشرون مخازيهم ويمحون كل مايتصل بهم مع أنهم شيوعيون ولكن الشيوعية درجات أو لنقل دركات في الهبوط.

ولذلك عندما انهزم الخمير الحمر من كمبوديا ولجأوا إلى حدود تايلند كان معهم بعض المسلمين من الخمير، بلغ عددهم عشرة آلاف نسمة أقاموا لاجئين على حدود تايلند.

العودة إلى مدرسة التعذيب :

ونعود إلى مدرسة التعذيب فنقول : إن الأخوة المرافقين وكلهم لهم صلة باللجنة الوطنية الحاكمة في الوقت الحاضر قد عرضوا علينا أن نرى المتحف الذي كان (بول بوت) ومن معه من الشيوعيين يقتلون فيه الناس ويعذبونهم ويقع في مبنى المدرسة الثانوية.

فذهبنا إليه في الثالثة والنصف ظهراً مع الأخ (إبراهيم آدم) فسلكنا شارعاً متميزاً باستقامته حتى ذكروا انه يمتد من وسط المدينة إلى الريف ويسمونه (شارع جامين) وتظلله أشجار النارجيل النضرة وصلنا مبنى المدرسة الثانوية الذي هو الآن متحف أو معرض يعرض جرائم (بول بوت) وعصابته.

فكان أول مافيه مقبرة تضم رفات (١٤) شخصاً قتلوهم يوم التحرير كما يسمونه الآن وهو اليوم الذي هرب فيه (بول بوت) وجماعته مطرودين من (فنوم بنه).

وكانوا قد اعتقلوا هؤلاء الأشخاص الأربعة عشر من بين من اعتقلوهم من أطباء ومهندسين ومدرسين وسياسيين وغيرهم من فئات الشعب التي عارضتهم.

ووجدنا لوحة مكتوباً عليها: إنه يجب عدم السؤال عن أحد من المعتقلين وعدم السؤال عن أي فعل يصدر من الحكم الشيوعي آنذاك.

وهذا معناه، تكميم الأفواه ومعناه الآخر: الحكم المطلق للشيوعيين الذي لايسئل صاحبه عمايفعل.

ثم بدأنا الدخول إلى غرف المدرسة التي كان الشيوعيون حولوها إلى معتقل فكانت أولى الغرف غرف السجن وفيها سرر من القش كان السجناء ينامون فوقها وبجانبها وعاء كأنه العلبة من أجل أن يبول فيه السجين ويتغوط فلا يخرج من غرفته وحلقتان من الخشب يجمع بينهما عود غير قوي من الخشب ذكروا انه توضع فيها رجلا السجين حتى لايستطيع المشي فضلاً عن الهرب.

كما كان من بين الغرف التي اطلعنا عليها غرفة فيها آلاف من الصور الصغيرة ذكروا أنها صور لأشخاص قتلهم الخمير الحمر ويبلغ عدد الصور في الغرفة الواحدة نحو ستمائة صورة في صفوف على الحيطان ورأيت من بينهم إثنين يظهر أنهما مسلمان من الهند وباكستان وإلا فإن المتحف لايذكر الناس بدياناتهم ولاباتجاهاتهم.

وبين الصور صور لأطفال ذكروا أنهم قتلوهم وغرف أخرى فيها آلاف الصور لمن قتلهم الخمير الحمر أيضاً.

ثم غرفة أخرى فيها تماثيل كثيرة لزعيم الخمير الحمر الشيوعيين (بول بوت) بعضها محطم وأكثرها في حالة سليمة ولكنها منكسة مكومة جمعوها من أماكنها ووضعوها في هذا المتحف.

ثم غرفة أخرى فيها آلاف الجماجم البشرية كتبوا عليها أنهم جمعوها بعد التحرير من عدة أماكن وانها لأشخاص كانوا ضحايا أولئك القوم الطغاة.

وتعددت الغرف التي تعرض جرائمهم، وتتكلم عما لم تعرضه منها كما عرضوا الأسلاك الشائكة التي كانت تحاط بها غرف الإعتقال، وأربطة حديدية كثيرة كانوا يربطون بها الناس ثم الزنزانات المنفردة وهي ضيقة لاتتسع لغير شخص واحد قاعد لايستطيع أن ينام فيها لأنهم قسموا كل غرفة فيها إلى ثمانية أقسام ضيقة. ويلاحظ ان هذه الغرف كانت من غرف الدراسة في هذه المدرسة الثانوية قبل أن يحولها الخمير الحمر إلى معتقل ومكان للتعذيب، ثم حولتها الحكومة الحاضرة إلى متحف يوضح جرائمهم.

وكرروا إعلانا قديماً يقول مخاطباً المعتقلين: إنه يمنع عليهم الكلام أو الاتصال بالمساجين الآخرين وإذا أردت شيئاً من المشرف عليهم فيكون بهدوء ودون تشويش.

ثم خصصوا غرفة أخرى لصور (بول بوت) والمسؤولين في إدارته والمقربين منه.

وأفظع مافي هذا المتحف من المناظر البشعة مناظر التعذيب التي منها الذبح والضرب بالسياط، وغطس الرأس في الماء لمنع التنفس

وخلع حلمتي الثدي بمقلاع من الحديد وتسليط العقارب على البدن مع كون المعتقل مكتفاً مربوط الأطراف لايستطيع الحركة.

وفي غرفة أخرى وضعوا شيئاً لم أر له مثيلاً في العالم وهو أنهم جمعوا جماجم بشرية حقيقية وصنعوا منها خارطة كبيرة لبلادهم (كمبوديا) ذكروا أنها جماجم لصغار وكبار ممن قتلهم بول بوت وعصاباته

وقد انتهينا من هذه الزيارة متقززين من هذه المناظر التي تدل على القسوة والوحشية لاسيما أن من بين ضحاياها عدداً لا نعلمه من الأخوة المسلمين وإن كان الذين نظموا المتحف هذا لم يشيروا إلى شئ من ذلك، وإنما ركزوا على أن الضحايا كانوا من سائر فئات الشعب الكمبودي.

إلى محافظة تاندال :

تقع محافظة (تاندال) إلى الغرب من محافظة العاصمة (فنوم بنه) ذهبنا إليها عصر اليوم مع شارع (جامين) الطويل المتجه جهة الجنوب الغربي.

وعلى هذا الشارع الحوانيت والبيوت القديمة داخل المدينة وأكثرها ذوات شقق صغيرة بالغوا في الاحتفاء بشرفاتها من أجل الانتفاع بها فجعلوا حواجزها من قضبان الحديد وأكثروا من نشر الغسيل من الثياب عليها مما يؤكد صغرها.

ثم عدلنا جهة الغرب مع شارع متوسط السعة عليه بيوت خشبية سقوفها من الصفيح الصديء، ولكن لا يعدم المرء أن يرى بينها بيوتاً اسمنتية لا بأس بمظهرها.

وتكثر دراجات الركشا كما في كل شوارع (فنوم بنه) ومن طريف مناظرها أنني رأيت دراجة ركشا قد ربطوا بها عجلة ذات صحن قد ركب فيه ثمانية أشخاص وهي تجرها بمن عليها. ومنظر امرأة تجر عربة وهي تسير على قدمها وفوق العربة رجل راكب.

وذلك أن الدراجة الركشاوية هنا مثل فيتنام مخصصة لراكب واحد وليس لثلاثة كما في الهند. ووصلنا ضاحية من ضواحي (فنوم بنه) قد اختلطت فيها المنازل بالبساتين، وذلك أنها كانت في الأصل منطقة ريفية فلحقها بنيان المدينة.

ميدان وسنو :

وقفنا في ميدان يفصل بين محافظتي فنوم بنه و(تاندال) اسمه ميدان وسنو، يتوسطه تمثال لشخصية رمزية في الديانة البوذية التي هي دين الأغلبية في هذه البلاد اسمها (براه ناري) وقد نحتوا تمثاله واقفاً بيده شئ يرمز إلى المعجزة عندهم.

والتقطنا صوراً له ثم دخلنا محافظة (تاندال) فبدأت بمستنقعات كثيرة رغم كوننا الآن في فصل الجفاف وقد علت تلك المستنقعات طحالب خضر كثيفة.

والبيوت الموجودة فيها هي من الخشب المرفوع عن الأرض بدعائم خشبية إتقاء للرطوبة.

مسجد العظيم :

دخلنا في ريف ندي حافل بالمستنقعات والمنازل الخشبية التي تجاورها وهو كثيف الخضرة أكثر الزراعة فيه حقول من حقول الأرز الغارق في المياه وأكثر الأشجار الكبيرة فيه ظهوراً أشجار النارجيل والموز حتى وصلنا قرية اسمها (براي تابو) أكثر أهلها من المسلمين. فوقفنا عند مسجد فيها اسمه (المسجد العظيم) وهو عظيم بالفعل في معناه ومبناه أما معناه فلكونه في هذه البلاد ذات الأغلبية البوذية الكافرة وأما مبناه فإنه لكونه متميزاً عن غيره من المباني في القرية بل في هذه المنطقة الريفية، فهو مبني بناء قوياً بالأسمنت المسلح على حين ان بيوت القرية مبنية من الخشب وقد سقفوه بالآجر الأحمر الجميل. ورأيناهم لايزالون يعملون في إصلاحه لأن هيكله قد تم ولكن لاتزال أبوابه ونوافذه غير مكتملة بل لاتزال أرضه غير مكتملة لأنهم رفعوه عن الأرض رفعاً بدرجات عدة.

وعندما رأيتهم يفعلون ذلك وكنت رأيت إخوانهم في أنحاء أخرى من كمبوديا مثلهم يعملون في مساجدهم ومؤسساتهم الإسلامية على ضعف امكاناتهم وقلة أنصارهم خُيِّل إليّ أنهم كأنما صحوا اليوم من مرض كان قد أصابهم، فهم يحاولون أن يعوضوا مافاتهم بسببه.

وجدنا عند المسجد طائفة صغيرة من الأطفال شبه العراة بسبب الجو، فالجو هنا أكثر حراً من فنوم بنه ومالبث جمع الأطفال هؤلاء أن أصبح ككرة الثلج التي كلما تدحرجت كبرت، ذلك بأنهم يتحركون

فيزداد عددهم بمن ينضم إليهم من أطفال من الجنسين وانضم إليهم إيضاً جمع من الأخوة المسلمين من الرجال والنساء لاسيما حينما عرفوا أننا من اخوانهم المسلمين الذين جاءوا إليهم من مكة المكرمة. قابلنا إمام المسجد الذي ارسلوا إليه ولم يكن حاضراً من قبل لأنه لم يعلم بمجيئنا واسمه (محمد نور بن اسماعيل) فأخبرنا أن المسجد بني هذا البناء الجيد في عام ١٩٨٩م وانهم جمعوا النفقة اللازمة لذلك منهم ومن إخوانهم في خارج البلاد.



[مع إمام مسجد العظيم بولاية (تاندال) القريبة من العاصمة فنوم بنه]

وقال وطائفة من المسلمين يسمعون: إنه كان في مكانه مسجد صغير قديم بنوا في مكانه هذا المسجد الكبير الحديث.

وذكروا أن عدد المصلين يوم الجمعة نحو ٢٠٠ مصلٍ وفي الصلوات اليومية مابين ٦٠ إلى ٧٠.

دخلنا المسجد وأرضه خشب لأنه مرفوع عن الأرض لكون مكانه كله مستنقعات ولاتزال المستنقعات تحته وحوله والغريب أن بعضها يطوف ببعض البيوت ولكن أهلها وضعوا خشباً يمرون فوقه. وقلت في نفسي : ماذا يعملون لمكافحة البعوض والحشرات التي تتولد في هذه المستنقعات وخصوصاً في ظل هذا الحكم البعيد عن التفكير في الأمور التفصيلية في الحكم؟

ولم أجد جواباً فرجعت اتصفح وجوه الأطفال الذين تجمهروا حولنا وهم من الجنسين ومن اعمار مختلفة فلا أرى فيها مايكون في وجوه من يتعرضون لأوبئة أو من يعيشون في مناخ دافئ، بل ان مناظرهم معتادة أو أحسن من ذلك ولكن غير المعتاد وغير المناسب فيها هي ثيابهم التي ليست على مايرام فبعضها متمزق وبعض الصغار ليس عليهم إلا مايستر العورة.

والذي يسترعي الانتباه هنا كثرة الأطفال من الجنسين في هذه القرية المسلمة مما يحمل المرء على التساؤل عما إذا كان المسلمون أكثر إنجاباً من غيرهم.

وقد قدمت القول بأن الأطفال كثير في كمبوديا والكلام إذا أطلق هنا ينصرف إلى الأغلبية من السكان وهم البوذيون. إلا أنني رأيت أنسال المسلمين في هذه القرية أكثر حتى من الأطفال في غيرها من قرى المسلمين.

ومسجد العظيم هكذا ذكروا اسمه لفظاً وكتبوه كتابة بإضافة العظيم إلى المسجد والمراد بذلك الصفة لا الاضافة فقد رأيناهم كتبوا اسمه باللغة التشامبية ذات الحروف العربية بخط كبير: «بريك تنوط» وتحته بالكمبودية (بريك بو).

وقد جعلوا له فناء مكشوفاً لكنه كالميدان الصغير في البلدة وليس كالفناء المكشوف المعتبر من المسجد ولذلك رأيت في ركن منه مقبرة صغيرة للأطفال شواهدها من الطين ولاتكاد القبور فيها ترى أو تميز عن غيرها فذكرت ماكنا نفعله في قبور الأطفال في بلادنا حيث كان قومنا ينصبون شواهد القبور من الحجارة على قبور البالغين أما الأطفال فإنهم يجعلون شواهد قبورهم من الطين.

ورأيت الأطفال الأحياء وغيرهم لايحترمون هذه القبور، بل يسيرون فوقها وهم يزدحمون على رؤيتنا، وربما كان ذلك لكوننا أول قوم من الغرباء الذين يأتون إلى المسجد مباشرة فيقفون بسيارتهم في ميدانه ويظهرون الاهتمام به.

وعلى ذكر مقابر الأطفال أقول إننا كنا نعرف حدة الأمراض التي كانت تصيب الأطفال في بلادنا قبل التطور الاقتصادي الأخير مثل الجدري والحصبة بكثرة قبور الأطفال.

أما الأمراض غير المميتة كالرمد وغيره من أمراض العيون فإنك ترى آثارها على عيون الأطفال ووجوههم وعندما طرأ ذلك في ذهني بادرت أنظر إلى الأطفال هنا وكلهم من أولاد المسلمين فلا أرى في عيونهم أو وجوههم شيئاً من ذلك فالكل صحيح أو معتاد المنظر.

وقد فسرت ذلك بما أعرفه من خلال رحلاتي في العالم أن أطفال الفقراء والبلاد المهملة من العلاج تكون أمراض العيون فيها أكثر إذا كانوا بعيدين نسبياً عن خط الاستواء أما إذا كانوا تحت خط الاستواء فإن أمراض العيون تكون أقل ولكن تكون هناك أمراض أخرى أكثر تفتك بالبدن.

وارجعت سبب ذلك إلى كون الذباب قليل النمو والتكاثر في الجو الاستوائي بالنسبة إلى تكاثره في الأجواء المعتدلة والصحراوية.

وقد تجمع الأخوة المسلمون علينا بأعداد كبيرة فكنا نجاملهم ونبادرهم بالتحية والتعريف بأننا إخوانهم في الدين جئنا لرؤية مسجدهم، والسلام على من تيسر أن نراه منهم.

ولاحظنا أن الأطفال والنساء هنا لايحتشمون من الاحتشاد للتفرج برؤية الغرباء وإن كانوا لايقتربون ولايسلمون إلا ما كان من أمر بعض الأطفال من الجنسين.

كان المنظر غريباً وجميلاً بالنسبة إليّ ، فها أنا أرى إخواناً لي في الدين لم أعرفهم من قبل، بل لم يحدثني محدث ولا من مسلمي أهل هذه البلاد عنهم من قبل. وذلك في جو مشبع بالغرابة من منظر هذا المسجد الجيد البناء الغالي النفقة، على حين أن بيوت القرية كلها خلاف ذلك ومنظر بيوت الخشب المرفوعة عن الأرض المملوءة بالمستنقعات التي ترفرف عليها فروع أشجار الفاكهة في المناطق المطيرة الحارة كالموز والأنبه والباباي. وعلى ذكر الفاكهة سألت عن العمل الرئيسي الذي يمارسه المسلمون هنا فأجابوا بما أجاب إخوان لهم من قبل في المنطقة التي زرناها من الجهة الشرق فيه للعاصمة بأنها الزراعة وصيد السمك.

وقبل مغادرة قرية (براي تابو) من محافظة (تندال) قلت للإمام ومن معه من الأخوة المسلمين والامام هنا هو الحاكم أي الرئيس الأعلى للأمور الدينية في القرية: إن رابطة العالم الإسلامي على إستعداد لمساعدتكم على استكمال مرافق المسجد وفراشه، واعطيتهم

عنواني على أن يكتبوا إليّ بذلك. كما قيدت في مذكرتي حاجة مسجدهم إلى المساعدة.

العودة إلى فنوم بنه :

عدنا إلى مدينة فنوم بنه مع وسط هذا الجو الندي الذي يكاد يوصف بكونه غارقاً في المياه، وإذا كان في ذلك شئ من المبالغة فإن الذي لامبالغة فيه أن حياض الأرز فيه قد غرقت بالمياه فعلاً وأن الأماكن المنخفضة فيه كلها كذلك.

فدخلنا (فنوم بنه) مع طريق آخر خلال حي شعبي متخلف بيوته أكواخ رثة بعضها مجلل بالخرق البالية لعجز أهله عن إصلاحه أو ترقيعه بالخشب ومظاهر سكانه مظاهر القرويين الفقراء الذين وفدوا لتوهم من البادية إلى المدينة.

ملتقى الأنهر :

وقفنا فجأة بعد الحي الشعبي الفقير في حي جميل يصح أن يوصف بأنه حي غني في مقابل ذلك الحي الفقير وغناه فيما بذل فيه من مال، وفيمن يفد عليه من أرباب الأعمال التجارية والسياسية من الخارج، وإلا فإن الغني في أهل كمبوديا قليل.

ويسمى هذا الحي الجميل (باسا) ربما على اسم نهر باسا هذا الذي يجري بقرب المدينة، ويلتقي هنا بأنهار ثلاثة فتصبح الأنهار الأربعة كلها خضماً ضخماً من المياه لم أر له شبيهاً إلا عند مدينة شنغهاي كبرى مدن الصين حيث يلتقي نهران كبيران فيكونان مجمعا من المياه عليه ميناء ضخم للمدينة وكأنها منه على محيط من البحر العظيم.

وقد رأينا ملتقى الأنهار هذا على البعد حيث تجتمع مياه تمر بمدينة (فنوم بنه) التي تقع على أربعة أنهار كبيرة .

وفي حي (باسا) هذا فندق ضخم حديث يتوج رأسه برج كأبراج المعابد البوذية هنا وابراجها دقيقة واقفة.

وعلى ذكر المعابد البوذية أقول: إن هذه البلاد الكمبودية رغم عراقة عهدها بالبوذية وكثرة البوذيين فيها فإن المعابد فيها ليست كثيرة كثرتها في تايلند فليس فيها إلا مايقرب من خمسة آلاف معبد مابين صغير وكبير على حين أن في جارتها ورصيفتها في الديانة البوذية تايلند خمسمائة ألف معبد بوذي.

لا سفارات إسلامية هنا :

مررنا في حي (باسا) هذا بمبنى وزارة الخارجية الكمبودية مما حملني على تساؤل عن سفارات الدول الإسلامية في هذه البلاد وكنت سألت بعض الأخوة المسلمين العارفين بالأمور عنها من أجل رجاء أن تساعد المسلمين فأخبرونا أنه لاتوجد هنا سفارة لأية دولة مسلمة أو عربية وذلك لكون (كمبوديا) مقاطعة من أكبر البلدان، بسبب القول بأن حكومتها ليست حكومة مستقلة وإنما هي ألعوبة في يد فيتنام الجارة الشيوعية الكبيرة التي أرسلت مايقرب من ربع مليون جندي من جنودها ظلوا في كمبوديا سنوات طويلة.

ثم مررنا بقصر سيهانوك وفناءٍ على هيئة ميدان ممتد من السور الخارجي للقصر إلى شارع النهر إذ يقع القصر على ضفة نهر ساب حيث يرى المرء خلفه نهر الميكونغ العظيم قبل أن يلتقي النهران، وإنما بينهما برزخ يلتقيان بعده .

وحدثنا الاخوة أن خلف نهر الميكونغ من هذه الجهة أربعة مساجد ولكن لايمكن الوصول إليها إلا في قوارب لأن الجسر الذي كان على نهر (ساب) قد خرب أثناء الحرب الأهلية ولم يصلح حتى الآن وقد جملوا هذه المنطقة من ضفة النهر التي تحاذي قصر الأمير سيهانوك فرأينا بعض الناس يجتمعون فيها في هذه الأمسية من يوم العطلة هذا وهو الأحد.

ومع ذلك كان هناك باعة كثر منتشرون والبائعات فيهم أكثر من الباعة من الرجال وأكثر بضائعهم من الفاكهة وعندهم الآن نوع ضخم

من الأترج أو (القريب فروت) فهي في حجم الأترج عندنا ولكن داخله ليس حامضاً كالأترج.

وهناك جوز الهند وهو ثمر النارجيل شربنا منه وهو جيد إلا أنه أقل جودة من شراب جوز الهند في فيتنام.

ومررنا عند مغادرة هذه المنطقة الجميلة ببناء ضخم أحمر الطلاء ذكر أنه متحف الآثار القديمة ولم نستطع زيارته لتأخر الوقت.

نائب رئيس البرلمان :

كان موعد اللقاء بالأخ محمد على عبدالرحمن نائب رئيس (البرلمان) في السابعة بعد صلاة المغرب لبحث الأمور المهمة التي تتعلق بأحوال المسلمين في هذه البلاد، ومايمكن أن تسهم به الرابطة في التعاون مع الأخوة المسلمين على أمور دينهم.

ذهبنا إليه في بيته وكان أول مارأيناه قبيل الوصول إليه شرطياً عند بوابة مغلقة خشبية غليظة معترضة تمنع السيارات غير المرغوب فيها من الدخول.

وكان معنا الأخوان إبراهيم إمام ومحمد مروان وهما من العاملين في الجبهة الوطنية الحاكمة وإن كانا يقولان : إنهما يعملان في الفرع الإسلامي داخل الجبهة.

والفينا البيت متوسط السعة يشبه أن يكون داره (فيلا) غير واسعة من الدارات المتوسطة غير المتأنق بها عندنا فاستقبلنا الأخ محمد على عند بابها بقسمات جدية طبعت تصرفاته كلها حسبما رأيناه وقد قابلنا من أسرته ابناً له اسمه أبوبكر ذكر انه يدرس على

منحة من الأمارات العربية المتحدة كما حضرت زوجته وابنته وابن أخيه.

وذكر بهذه المناسبة ان له ٨ أولاد قتل منهم الطغاة (بول بوت) وأعوانه ثلاثة كما ذكر أنهم قتلوا من أسرته ١١ شخصاً.

وتأكد لنا بذلك ماكنا سمعناه من بعض المسلمين من أنه لايكاد يخلو بيت من بيوت المسلمين من قتيل لأولئك الشيوعيين المتعصبين.

قدم لنا الشاي ومعه البسكويت وبعض الحلوى وزجاجات الشراب الغازي الباردة.

وقلت له اليوم ماقلته له قبل ذلك ولغيره من زعماء المسلمين: إن عدم وجود جمعية إسلامية رسمية مسجلة في الدولة هو عائق دون تقديم المساعدة لكم لأن المساعدة المالية إذا قدمت لأي شخص غير منتم إلى جمعية رسمية معترف بها تكون كأنما قدمت إلى شخصه.

ومع ذلك نحن نعلم أن تسجيل الجمعية الإسلامية رسمياً يحتاج إلى وقت، ولكنه لايصعب على أمثالكم لأنكم- كما عرفنا- تتمتعون بمكانة كبيرة في الدولة إضافة إلى وظيفتكم الكبيرة في (البرلمان).

قلت: وأول الأشكال الذي واجهناه أننا نحمل مبالغ رمزية نقدية بالدولار الأمريكي ولكننا لانستطيع أن ندفعها للقائمين على المساجد والمدارس لأن جماعاتهم غير مسجلة في جمعيات رسمية.

ونظراً لوجودها معنا ولانريد ان نعود بها مع حاجة المساجد والمدارس هنا إلى كل قرش. لذلك نرجو ان تكونوا لجنة برئاستكم

تتسلم هذه النقود القليلة وتفرقها في المساجد والمدارس الإسلامية الملحقة بالمساجد حسب الحاجة في ذلك.

فتردد كثيراً ثم قبل أن تكون اللجنة مؤلفة منه ومن الأخ عبدالله حمزة نائب وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء والأستاذين إبراهيم إمام ومحمد مروان على أن تسلم النقود بحضور الجميع إلى الأخ عبدالله حمزة في بيته غداً في الساعة السادسة صباحاً.

وكان الأخ عبدالله حمزة قد زارنا في الفندق قبل ذلك مع الأخ الذي كنا عرفناه في مطار بانكوك وهو مسلم مثقف متحمس لدينه ظهر لنا من أمره انه ثقة.

وقد بحثنا معه أمور المسلمين بحثاً مستفيضاً طلب خلاله أن تدعو رابطة العالم الإسلامي وفداً مؤلفاً من أربعة أشخاص أوخمسة من مسلمي كمبوديا لزيارة المملكة وأداء مناسك الحج والعمرة، كما طلب ان يدعى وفد من مسلمي كمبوديا إلى مؤتمر الأقليات المسلمة الذي تقرر أن يعقد في مكة المكرمة. وكانت جلسة مفيدة امتدت إلى مابعد التاسعة.

يوم الاثنين ١٦ / ١٢ / ١٩٩١م

تسليم المساعدات :

ذهبنا في السادسة إلى بيت الأخ عبدالله حمزة حسب الموعد المضروب من قبل. وقد مليئت شوارع العاصمة الكمبودية كعادتها بالدراجات الهوائية والنارية فتذكرت بذلك القول العربي المشهور:

«وسالت بأعناق المطي الأباطح» إذ أن هذه الشوارع قد سالت بالدراجات المذكورة بل إنها بدأت وكأنها السيل المندفع مع الشوارع.

وصلنا بيت الأخ عبدالله حمزة وهو ذو مقدمة جيدة تقف فيها سيارة جديدة وفيها حديقة صغيرة.

ووجدنا عنده الأخ (محمد على عبدالرحمن) وهو أكبر منه وظيفة رغم كون عبدالله حمزة في رتبة نائب وزير كما أخبرونا بذلك. فسلمناهم النقود بحضور اللجنة الرباعية وقلنا لهم: إن هذا مبلغ قليل ونرجو أن نرسل على ضوء مشاهداتنا وطبقاً للأنظمة المالية المتبعة لدينا مبالغ مجزية في المستقبل، ونرجو أن تكون اللقاءات التي تمت أثناء زيارتنا إلى (كمبوديا) فاتحة خير في التعاون مابين رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وبين الأخوة المسلمين في هذه البلاد.

وقد شكروا ذلك وتمنوا أن يستمر هذا التعاون المثمر.

وكان الحديث أثناء تناول الشاى والكعك اللين (الكيك) ووجدنا ذلك جاهزاً على المائدة لأنهم جميعاً يعلمون أن الوقت بالنسبة إلينا مهم.

ومررنا بمكتب الخطوط الفيتنامية للسفر معها هذا اليوم إلى بانكوك عن طريق مدينة (هوشي منه) غير أن الموظفين في مكتب الشركة وهم كثر من رجال ونساء لم يستطيعوا أن يعرفوا ماإذا كان من الممكن لنا أن نسافر من (هوشي منه) إلى بانكوك مع الخطوط الفرنسية التي عرفنا أنها توجد لها رحلة في موعد مناسب من مغرب هذا اليوم وذلك لكونهم لايوجد لديهم في المكتب جهاز للحاسب الآلي.

وجاء الفرج عند مكتب شرطة الخطوط الفرنسية (إير فرانس) حيث حجزوا لنا حجزاً مؤكداً من هوشي منه إلى بانكوك.

مغادرة كمبوديا :

خرجنا من الفندق في العاشرة والنصف معنا الأخوان الكريمان (ابراهيم آدم) و(محمد مروان). وقد توليا إجراءات السفر حتى دخلنا إلى غرفة المغادرة وهما معنا. وتجلت طبيعة القوم السمحة في المعاملة وبخاصة لمن له شفيع منهم.

وبقينا وقتاً في قاعة المغادرة التي هي صغيرة جداً ومع ذلك فيها محل تجاري يبيع بضائع مستوردة بأسعار غالية وليس في القاعة مقهاة، وإنما يوجد ركن لبيع المشروبات الغازية.

من فنوم بنه إلى هوشي منه :

ولك أن تحكم بتشابه الاسمين من تقارب صيغة اللفظ التي هي ذات مقاطع خفيفة مؤلفة من حرف متحرك بعده حرف ساكن. وهذا كل مايجمع بينهما إذ أنهما من لغتين مختلفتين.

غادرنا (فنوم بنه) في الساعة الواحدة إلا خمس دقائق مع طائرة الخطوط الجوية الفيتنامية وهي نفاثة صغيرة من طراز توبوليف ١٣٤ روسية الصنع.

وقد تأخرت في قيامها ٢٥ دقيقة عن الموعد المحدد له في الأصل وهو الحادية عشرة والنصف وهو أمر لم نعتده من الخطوط الفيتنامية

التي تعودنا منها الدقة في المواعيد والضبط في الإجراءات. وكانت المضيفات الفيتناميات في الطائرة على غاية من اللطف وحسن المعاملة مع الركاب.

وقد اتضحت حالة الأرض عندما استوت الطائرة في الجو أرضاً زراعية كثيرة المياه والمستنقعات التي تبدو في احواض الأرز الغارقة وفي البرك المخصصة لتربية الأسماك.

وأما الأنهار الضخمة ذات المياه الغزيرة التي تجري قرب العاصمة (فنوم بنه) فإن المرء يأخذه العجب الشديد من كون أهل هذه البلاد يشكون الحاجة إلى الطعام وعندهم هذه الثورة العظيمة من المياه.

وقد استمر منظر المستنقعات والتجمعات المائية الهائلة مماجعلني أقول هنا ما قلته في بعض البلدان: (إن هذا القطر قطر غنى يسكنه شعب فقير).

وبعد ذلك صرنا نطير فوق أرض مهملة لا أثر للعناية بالزراعة ولابغيرها فيها.

فوق أرض فيتنام:

تجاوزنا تلك الأرض المهملة بسرعة حيث صرنا فجأة نطير فوق أرض فيتنام الخضراء الريانة المعتنى بها في كل شئ يراه المرء من الطائرة، ولا غرو فهذه كانت فيتنام الجنوبية التي أراد لها الحكم الوطني ومعه إرادة البلد الغني (الولايات المتحدة) أن تتفوق على فيتنام الشمالية الشيوعية في كل شئ، ولكن ذلك لم ينفعها بشئ

فسقطت ومعها الارادة الأمريكية في الأيدي الشيوعية التي اتفقت على اتحادها مع فيتنام الشمالية تحت اسم دولة فيتنام واستبدال اسمها القديم (سايقون) باسم زعيم الشيوعيين الشماليين (هوشي منه) وقد ذكرت ماشاهدته في فيتنام في كتاب عنوانه : « أيام في فيتنام » . .

ومن مظاهر العناية الفائقة في الأرض الفيتنامية هذه أنهم شقوا قنوات طويلة مستقيمة من نهر ضخم هناك فسارت تلك القنوات في ريف أخضر لا ترى له مدى. وقد أقيمت على ضفافها البيوت. وطفت فوق مياهها القوارب الصغيرة.

ولا يرى المرء أي شبر من الأرض خالياً من الزراعة أو العمارة.

في مطار هوشي منه :

انخفضت الطائرة بسرعة فالمسافة بين المدينتين قصيرة ربما لاتتجاوز (٥٠٠) كيلومتر ولذلك لم يقدموا في الطائرة إلا ضيافة خفيفة رغم ماعرفناه عنهم من سخاء في الضيافة وحرص على تقديمها للركاب في كل الأوقات.

كان المنظر تحتها كله بساط سندسي أخضر توشحه القنوات التي تبدو كالأنهار إلى جانب الأنهار الكثيرة التي ربما كان بعضها روافد لبعض.

هبطت في الواحدة والدقيقة الخامسة والعشرين أي بعد طيران لم يزد على نصف ساعة.

وجددت عهداً قريباً بهذا المطار الذي فوجئت عندما وصلت

إليه من بانكوك بكثافة الخضرة حوله وتراكم الأعشاب حول مدرجاته كما يفاجأ من يقدم من أرض صحراء إلى أرض خضراء.

وهو واسع المدارج تقف فيه طائرات كبيرة تابعة لعدة شركات عالمية.

وصلنا قاعة العابرين لأننا لن ندخل المدينة وإنما سنسافر إلى بانكوك فأعطونا بطاقة تعلق على الصدر يعطونها للعابرين.

سألت مضيفة أرضية عن امتعتنا وكيف نستطيع أن نراها لأن أهل (فنوم بنه) امتنعوا عن شحنها إلى بانكوك. فقالت: انتظروا فسوف أعود إليكم.

عادت بعد قليل وطلبت من كل عابر أن يضع امتعته اليدوية في مكان من المطار واخترقت بنا ونحن ثمانية أشخاص قاعة العابرين فمنطقة الوصول فمكاتب الجوازات حتى خرجنا من المطار إلى جهة المدينة في منطقة أعرفها من قبل حتى أدخلتنا مطعماً تبين أنه لايوجد غيره في منطقة المطار وأنهم يريدوننا أن نتناول الغداء مجاناً بمثابة الضيافة منهم. ولكن تبين ان كل الذي يقدمونه حرام علينا لأنه إما أن يكون حراماً لذاته كلحم الخنزير أو بسبب ذبحه ذبحاً غير شرعي كالدجاج فطلبت سمكاً أو جبناً فاعتذروا بعدم وجوده فأكلنا أرزاً ساذجا أي غير مخلوط بشئ مع شئ من السلطة وشربنا ماء معدنياً وبعد ذلك الشاي.

كان من تدبيرهم أن جمعونا كلنا على مائدة واحدة كبيرة مع اننا من بلاد شتى معنا رجلان فرنسيان وامرأة افريقية الأصل تتكلم

الفرنسية بطلاقة وامرأة أخرى من الدومنيكان في البحر الكاريبي وهما تعملان مع الأمم المتحدة في كمبوديا وكلهم ذاهبون إلى باريس.

إلى بانكوك :

ثم قامت طائرة الخطوط الفرنسية من طراز بوينغ ٧٤٧ العملاق قاصدة بانكوك في الساعة الثامنة مساءً متأخرة نصف ساعة عن الوقت المحدد لقيامها في الأصل.

فوصلنا بانكوك بعد ساعتين إلا ربعاً ومن هناك سافرت بعد يوم واحد إلى الرياض.



الفهـرس

الموضــــوع — الصفحة

القسم الأول :

القسم الثاني :

صدر من هذه السلسلة

٣٢-	الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج	د. السيد رزق الطويل
٣٣-	الاعلام في المجتمع الإسلامي	أ. حامد عبد الواحد
٣٤-	الالتزام الديني منهج وسط	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٣٥-	التربية النفسية في المنهج الإسلامي	د. حسن الشرقاوي
٣٦-	الإسلام والعلاقات الدولية	د. محمد الصادق عفيفي
٣٧-	العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨-	معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها	د. محمود محمد بابللي
٣٩-	النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	د. علي محمد نصر
٤٠-	من التراث الاقتصادي للمسلمين	د. محمد رفعت العوضي
٤١-	المفاهيم الاقتصادية في الإسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢-	الأقليات المسلمة في أفريقيا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣-	الأقليات المسلمة في أوروبا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤-	الأقليات المسلمة في الأمريكتين	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥-	الطريق إلى النصر	أ. محمد عبد الله فودة
٤٦-	الإسلام دعوة حق	د. السيد رزق الطويل
٤٧-	الإسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨-	دحض مفتريات	د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩-	المجاهدون في فطان	أ. محمد ضياء شهاب
٥٠-	معجزة خلق الإنسان	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١-	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية	د. سيد عبد الحميد مرسي
٥٢-	ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي	أ. أنور الجندي
٥٣-	الشورى سلوك والتزام	د. محمود محمد بابللي
٥٤-	الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أ. أسماء عمر فدعق
٥٥-	مدخل إلى تحصين الأمة	د. أحمد محمد الخراط
٥٦-	القرآن كتاب أُحكمت آياته [٣]	أ. أحمد محمد جمال
٥٧-	كيف تكون خطيباً	الشيخ عبد الرحمن خلف
٥٨-	الزواج بغير المسلمين	الشيخ حسن خالد
٥٩-	نظرات في قصص القرآن	أ. محمد قطب عبد العال
٦٠-	اللسان العربي والإسلام معاً في مواجهة التحديات	د. السيد رزق الطويل
٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث	أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]	د. رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت [١]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٦٦-	أصلح الأديان عقيدة وشريعة	أ. عبد الغفور عطار

العنوان	المؤلف
١٠٢- أخطار حول الإسلام	السيد هاشم عقيل عزوز
١٠٣- صلاة الجماعة	د. عبد الله محمد سعيد
١٠٤- المستشرقون والقرآن	د. اسماعيل سالم عبد العال
١٠٥- مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية	أ. أنور الجندي
١٠٦- الاقتصاد الإسلامي هو البديل	د. شوقي أحمد دنيا
١٠٧- توجيه وارشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ	أ. عبد المجيد أحمد منصور
١٠٨- المخدرات مضارها على الدين والدنيا	د. ياسين الخطيب
١٠٩- في ظلال سيرة الرسول ﷺ	أ. أحمد المخزنجي
١١٠- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	أ. محمود محمد كمال عبد المطلب
١١١- زينة المرأة بين الإباحة والتحريم	د. حياة محمد علي خفاجي
١١٢- التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا	د. سراج محمد عبد العزيز وزان
١١٣- النموذج العصري للجهاد الأفغاني	أ. عبد رب الرسول سياف
١١٤- المسلمون حديث ذو شجون	أ. أحمد محمد جمال
١١٥- الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم	أ. ناصر عبد الله العمار
١١٦- المسلمون في بورما .. التاريخ والتحديات	أ. نور الإسلام بن جعفر علي آل فايز
١١٧- آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم	د. جابر المتولي تميمة
١١٨- اللباس في الإسلام	أ. أحمد بن محمد المهدي
١١٩- أسس النظام المالي في الإسلام	أ. محمد أبو الليث
١٢٠- المستشرقون والقرآن [٢]	د. اسماعيل سالم عبد العال
١٢١- الإسلام هو الحل	أ. محمد سويد
١٢٢- نظرات في قصص القرآن	أ. محمد قطب عبد العال
١٢٣- من حصاد الفكر الإسلامي	د. محمد محي الدين سالم
١٢٤- خواطر اسلامية	أ. ساري محمد الزهراني
١٢٥- الإسلام ومكافحة المخدرات	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٢٦- دروس تربوية نبوية	أ. صالح أبو عراد الشهري
١٢٧- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	د. عبد الحليم عويس
١٢٨- من سمات الأدب الإسلامي	د. مصطفى عبد الواحد
١٢٩- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول]	أ. أحمد محمد جمال
١٣٠- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الثاني]	أ. أحمد محمد جمال
١٣١- المسجد البابري قضية لا تنسى	أ. عبد الباسط عز الدين
١٣٢- التدريس في مدرسة النبوة	د. سراج عبد العزيز الوزان
١٣٣- الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديث	أ. ابراهيم اسماعيل
١٣٤- تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	د. حسن محمد باجودة
١٣٥- منهاج الداعية	أ. أحمد أبو زيد
١٣٦- في جنوب الصين	الشيخ محمد بن ناصر العبودي

الرقم	العنوان	المؤلف
١٣٧	التنمية والبيئة دراسة مقارنة	د. شوقي أحمد دنيا
١٣٨	الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل	د. محمود محمد بابللي
١٣٩	سقوط الأيديولوجيات	أ. أنور الجندي
١٤٠	الطفل في الإسلام	أ. محمود الشرقاوي
١٤١	التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها	أ. فتحي بن عبد الفضيل بن علي
١٤٢	لمحات من الطب الإسلامي	د. حياة محمد علي خفاجي
١٤٣	الإسلام والمسلمون في ألبانيا	د. السيد محمد يونس
١٤٤	أحمد محمد جمال (رحمه الله)	مجموعة من الأساتذة الكُتّاب
١٤٥	الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية	أ. أحمد أبو زيد
١٤٦	الإسلام والنظام العالمي الجديد (الطبعة الثانية)	د. حامد أحمد الرفاعي
١٤٧	من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٤٨	الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي	أ. زيد بن محمد الرماني
١٤٩	الماسونية والمرأة	أ. جمعان بن عايض الزهراني
١٥٠	جوانب من عظمة الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٥١	الأسرة المسلمة	د. حسن محمد باجودة
١٥٢	حرب القوقاز الأولى	د. أحمد موسى الشيشاني
١٥٣	المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية - الجزء الثاني	أ. زيد بن محمد الرماني
١٥٤	المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي	د. السيد محمد يونس
١٥٥	القدس في ضمير العالم الإسلامي	اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٦	الطريق إلى الوحدة الإسلامية	اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٧	المركز القانوني الدولي لمدينة القدس	د. جعفر عبد السلام
١٥٨	الحوار النافع بين أصحاب الشرائع	د. عبد الرحمن الحوراني
١٥٩	الإنسان والبيئة	أ. علي راضي أبو زريق
١٦٠	الإسلام وأثره في الثقافة العالمية	أ. محمود الشرقاوي
١٦١	الموت .. ماذا أعددنا له ؟	أ. عبد الله أحمد خشيم
١٦٢	زواج المسلمة بغير مسلم وحكمة تحريمه	د. محمود محمد بابللي
١٦٣	عطاء الإسلام الحضاري	أ. أنور الجندي
١٦٤	إحياء الأراضي الموات في الإسلام	أ. عاطف أبو زيد سليمان علي
١٦٥	أهمية يوم الجمعة (خطب مختارة)	أ. محمد بن سليمان الأهدل
١٦٦	البوسنة والهرسك .. أرقام وحقائق	أ. خالد الأصور